فقه أسماء الله الحسنى

في ضوء النظم الكلي للقرآن الكريم

"سورة الشعراء نموذجًا"

الباحث

د. توفيق علي مراد زبادي

أستاذ مشارك في قسم الدراسات القرآنية

بأكاديمية بصيرة العلمية الدعوية

وقف بصيرة التعليمي الثقافي، إسطنبول، تركيا

فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للقرآن الكريم "سورة الشعراء نموذجًا"

توفيق علي مراد زيادي
قسم الدراسات القرآنية ، كلية أكاديمية بصيرة العلمية الدعوية، جامعة وقف بصيرة التعليمي الثقافي، إسطنبول، تركيا.
البريد الالكتروني: towfeekali@hotmail.com

ملخص البحث

يهدفُ هذا البحثُ إلى بيانِ فكرةٍ جديدةٍ لمْ يتناولْها أحدٌ- فيما أعلمُ- بدراسةٍ مستقلةٍ، وهيَ (فقه أسماء الله الحسنى)، وقدْ قمْتُ بدراسةٍ تطبيقيةٍ على سورة الشعراء، وكانَ الغرضُ منَ البحثِ بيانَ أنَّ الله عز وجل عرَّف نفسه لعباده بآثار أسمائه الحسنى على مستوى النظم الكلي للسورة من بدايتها إلى نهايتها؛ ليعبدوه حق العبادة عن علم ويقين.

وتقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص؛ أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث، أما المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها:

- أن القرآن الكريم عرَّف العباد بآثار أسماء الله الحسنى على مستوى السورة القرآنية، وعلى مستوى القرآن كله؛ ليعرفوه حق المعرفة، وليعبدوه حق العبادة.
- تكرار أسماء الله عز وجل في السورة القرآنية؛ يُنْبِيء بأن آثار هذا الأسماء هو الروح المهيمن على السورة، وموضوعاتها.
- التناسق بين مقاصد السورة مع بعضها في عقد واحد مُبهِر.
- كل سورة لها أسلوبها الخاص الشيق الذي يتناسب مع طبيعة النفس البشرية في عرض آثار أسماء الله عز وجل.
- كل سورة وخاصة الطويلة تحتوي على مقدمة، ومقاصد، وخاتمة، بينهم تأخ وتعاضد، وتلاحم في صورة من التناسق والتناسب مبهر.

الكلمات المفتاحية: فقه، السورة، آثار، أسماء الله، نظم.

Fiqh of the Most Beautiful Names of Allah in Light of the Holistic Structure of the Qur'an: Surah Ash-Shu'ara as a Model

Tawfiq Ali Murad Zabadi
Department of Quranic Studies, Basira Scientific Da'wah College, Waqf Basira Educational and Cultural University, Istanbul, Turkey.
Email: towfeekali@hotmail.com

Abstract

This study aims to explore a novel concept not previously addressed, to the best of my knowledge, in an independent study: the "Fiqh of the Most Beautiful Names of Allah." It applies an analytical approach to Surah Ash-Shu'ara, intending to demonstrate how Allah Almighty introduces Himself to His servants through the manifestations of His Most Beautiful Names across the holistic structure of the Surah, from beginning to end, so that they may worship Him with knowledge and certainty.

The nature of the research necessitates employing multiple methodologies. The researcher adopted both inductive and analytical methods. The inductive method was used to trace the Quranic verses in the Surah related to the topic, while the analytical method was employed to interpret the traced verses, uncovering their nuanced meanings and their strong connection to the subject of the study.

The researcher reached several significant conclusions, including:

- **The Qur'an introduces the servants to the manifestations of Allah's Most Beautiful Names at both the Surah and the holistic Quranic level, so they may know Him truly and worship Him as He deserves.**
- **The repetition of Allah's Names in the Surah indicates that the manifestations of these Names are the central spirit dominating the Surah and its themes.**
- **The objectives of the Surah are intricately connected in an astonishingly cohesive framework.**
- **Each Surah has its unique and engaging style that aligns with human nature in presenting the manifestations of Allah's Names.**

Every Surah, particularly the longer ones, includes an introduction, objectives, and conclusion, all interwoven in a harmonious and cohesive manner that reflects remarkable symmetry and balance.

Keywords: Fiqh, Surah, Manifestations, Names of Allah, Structure.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد،

فإن فهم معاني أسماء الله ﷻ وسيلةٌ إلى معاملَته بثمراتها؛ من الخوف والرَّجاء، والمهابَةِ والمحبَّة والتوكُّل، وغيرِ ذلك من ثمرات معرفة الأسماء والصِّفات؛ لأنه مَن كان بما له ﷻ من الأسماء والصِّفات أعلم وأعرَف؛ كان بالله أعلَم وأعرف.

وإنَّ لكلِّ اسم من أسماء الله ﷻ أسرارًا عظيمة، ومعانيَ بديعة، يُطلِع اللهُ ما شاء منها على مَن شاء من عباده؛ بعد بذله للجهد المطلوب منه في تدبره وتأمله في سياقات وروده، قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[العنكبوت:٦٩].

وإن من أعظم مجالات التدبر تدبر أسمائه وصفاته في نظمها القرآني المُعْجِز؛ لأن فيوض المعاني وآثار هذه الأسماء لا تظهر للمتدبر إلا إذا نظر في مجموع نظم الكلام على مستوى السورة؛ لأن الله ﷻ تعرَّف إلى خلقه بأفعاله، وأسمائه وصفاته، وما أحدَثه في أوليائه وأعدائه، مِن كرامته وإنعامه على الأولياء، وإهانته وإشقائه للأعداء، ومِن إجابته دعواتهم، وقضائه حوائجَهم، وتفريج كرباتهم، وكشفِ بلائهم، وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء، وتقليبهم في أنواع الخير والشر؛ فكان في ذلك أعظم دليلٍ لهم على أنه ربهُّم ومليكُهم، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأنه العزيز الرحيم، وأنه الإلهُ الحقُّ وكلُّ ما سواه باطل؛ فتظاهرت أدلةُ ربوبيته وتوحيده في الأرض، وتنوَّعت، وقامت

من كلِّ جانب؛ فعرفَه الموفَّقون من عباده، وأقرُّوا بتوحيده إيمانًا وإذعانًا، وجحدَه المخذولون من خليقته، وأشركوا به ظلمًا وكفرانًا؛ فهلكَ من هلكَ عن بينةٍ وحيَّ من حيَّ عن بينة.

وأنه كلما ازداد معرفة العبد بربه؛ ازداد إيمانه، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر أسمائه وصفاته في القرآن الكريم، والطريق في ذلك، إذا مرَّ به اسم من أسماء الله، أثبت له ذلك المعنى، وكماله، وعمومه، ونزَّهه عما يضاد ذلك، ويعلم علم اليقين أن الخلق والأمر صادر عن أسمائه وصفاته، وهي مقتضية له.

وإن لتوارد أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبُّر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله – عز وجل – لا يقيم اسمًا من أسمائه الحسنى إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق على مستوى السورة كلها.

والمطلع على ما كُتِبَ من كتب وبحوث تناولت شرح أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم؛ **يجد** أن الكاتب والباحث اقتصر على أثر الأسماء الحسنى على مستوى الآية، وأنها تُخْتَم بأسمائه الحسنى المناسبة لمضمون الآية، وهذا جهد مشكور، وصاحبه مأجور، ومجال من مجالات التدبر ذات النفع الكثير.

وإن من تمام تحقق **مناحي** التدبر لأسماء الله الحسنى في السورة النظر الكلي لسياقها؛ لأنه هو السبيل لفهم الخيط الناظم لمعانيها، وانكشاف فيضها المدرار؛ لأن الله يُجلي لعباده في كتابه أثر أسمائه الحسنى في سياق السورة؛ حتى يشعر المتأمل أن السورة بُنيت عليه، وأقامت على معانيه بنيانها.

وكم يجلب النظر القاصر في أثر أسماء الله على مستوى الآية لصاحبه من جور عن القصد، وكم ينأى به عن أروع أنواع الجمال في النظم.

ولم يتطرق أحدُ – حسب علمي – على تناول هذا المقصد؛ فعزمت على خوض هذا الغمار مستعيناً بالله، داعياً إياه بالتوفيق والسداد، ومسترشدًا بما أشار إليه أئمتنا الأعلام– نَضَّرَ الله وجوههم– في كتبهم من منثور كلامهم حول هذا الغرض.

والله نسأل التوفيق والسداد

الدراسات السابقة:

تكلمت كُتُب وبحوث عن فقه أسماء الله الحسنى وشرح أسرارها، وعن ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى وأسرار وحِكَمْ ذلك، ولم أجد من تناول موضوع بحثي بدراسة مستقلة– حسب علمي واطلاعي.

ونختار من الدراسات دراستين وثيقتا الصلة بدراستنا:

الدراسة الأولى: اقتران اسم "العزيز" بالرحيم والغفور والغفار في القرآن دلالة ومعنى، د. عبد الله بن عبد العزيز الدغيثر، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

حيث خصص فصلًا في بحثه لدراسة دلالة سياق اقتران اسم العزيز بالرحيم حسب ترتيب سور القرآن **الكريم، واشتمل الفصل على خمسة مباحث:**

المبحث الأول: دلالات سياق اقتران اسم الله العزيز بالرحيم في سورة الشعراء.

المبحث الثاني: دلالات سياق اقتران اسم الله العزيز بالرحيم في سورة الروم.

المبحث الثالث: دلالات سياق اقتران اسم الله العزيز بالرحيم في سورة السجدة.

المبحث الرابع: دلالات سياق اقتران اسم الله العزيز بالرحيم في سورة يس.

المبحث الخامس: دلالات سياق اقتران اسم الله العزيز بالرحيم في سورة الدخان.

واستعرض في هذه المباحث أقوال المفسرين حول ختم الآيات بالاسمين

الكريمين، ورجح بينها.

وبين هذه الدراسة ودراستي نقطة اتفاق حيث تعرضت لتناول ختم الآيات في السور التي ذكر فيها الاسمين الكريمين، ونقطة افتراق وهو أن دراستي تناولت سورة الشعراء كاملة وآثار الاسمين الكريمين على النظم الكلي للسورة.

الدراسة الثانية: التكرار وأثره في التفسير دراسة تطبيقية على سورة الشعراء، للباحثة: حليمة طواهرية، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانة، قسم العلوم الإنسانية، شعبة العلوم الإسلامية، السنة الجامعية، ٢٠١٤– ٢٠١٥م.

وتناولت الباحثة في المبحث الرابع من رسالتها: تكرار الفاصلة القرآنية في السورة وأثرها في التفسير.

وبين هذه الدراسة ودراستي نقطة اتفاق حيث تعرضت لتناول التكرار وفائدته بصورة مختصرة لتناسبه مع موضوعي، ونقطة افتراق وهو أن دراستي تناولت سورة الشعراء وآثار الاسمين الكريمين على النظم الكلي للسورة.

ولا شك أنني سأستفيد من الدراستين.

هيكل البحث:

كانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة: وتحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية، الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

ويتكون البحث من مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، ويتكون من:

المطلب الأول: وحدة بناء السورة.

المطلب الثاني: مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا

المطلب الثالث: الحكمة في تكرار أسماء الله في السورة

المطلب الرابع: منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة

المطلب الخامس: صور فقه أسماء الله الحسنى في ضوء السورة

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية سورة الشعراء نموذجاً.

المطلب الأول: المقدمة: بيان عظمة القرآن الكريم

المطلب الثاني: تسلية النبيﷺ من خلال قصص الرسل في السورة

القصة الأولى: قصة موسى عليه السلام وفرعون

القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام

القصة الثالثة: قصة نوح عليه السلام

القصة الرابعة: قصة هود عليه السلام

القصة الخامسة: قصة صالح عليه السلام

القصة السادسة: قصة لوط عليه السلام

القصة السابعة: قصة شعيب عليه السلام

المطلب الثالث: الخاتمة: حكمة أمر رسول ﷺ بالتوكل على العزيز الرحيم.

المطلب الرابع: استنباط الخيط الناظم بين مقدمة السورة وقصصها وخاتمتها

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية

المطلب الأول: وحدة بناء السورة

تحدث علماؤنا – نضَّر الله وجههم– بأن كلُّ سورة بُنِيَّت على مقصد واحد يُدار عليه أوَّلُها وآخرُها، ويُستدلُّ عليه فيها؛ فترتَّب المقدِّمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليلٍ استدلَّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمَّ جرًّا، فإذا وصل الأمرُ إلى غايتِه؛ خُتِمَ بما منْه ابتدأ، ثم انعطف الكلامُ وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومَرَّ في غير الأوَّل منيع، فتكونُ السورة كالشجرة النَّضيرة العالية، والدَّوحة البهيجة الأنيقة الحَالِية المُزَيَّنة بأنواع الزِّينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدُّر وأفنانها منعطفةً إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلُّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السُّورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورةٍ دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ البديعة النظم العجيبة الضَّمِّ بِلِينِ تعاطف أفنائها، وحسن تواصُلِ ثمارِها وأفنانِها(١).

فمن مقتضَيات هذا أنَّ " مَنْ حقَّقَ المقصودَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ؛ عرف تناسبَ آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها (٢).

فالسُّورةُ في تناسب جُملها وآياتِها ونجومِها ومَعاقِدِها تُشبه الشَّجرةَ ذات الأوراق والأغصان، والتي يسرى فيها كلِّها عصارةٌ واحدة، فلا تختلف طعومها ولا رائحتها، فجميع ثمارها سواء، وجميع أغصانها وأوراقها سواء، هذه العصارة في الشجرة هي المقصود والمغزى في السورة وهى المبدأ المُهيمن على كل

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، للبقاعيّ: ١/١٤٩. بتصرف يسير

(٢) المرجع السابق.

شيء فيها(١).

ولما كان لكل سورة مقصد، أو غرض تام؛ وقع بها التحدي، قال ابن عاشور(ت: ١٣٩٣)-رحمه الله- "وإنما كان التحدي بسورة، ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورًا لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفٍ في غرض من الأغراض؛ وإنما تنزل سور القرآن في أغراض مقصودة؛ فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام، وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمال والتفصيل، وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض، ومناسبات الاستطراد والاعتراض والخروج والرجوع، وفصل الجمل ووصلها، والإيجاز والإطناب، ونحو ذلك مما يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام، وتلك لا تظهر مطابقتها جليةً إلا إذا تم الكلام، واستوفى الغرض حقه"(٢).

وقال في موضع آخر:" وإنما وقع التحدي بسورة أي وإن كانت قصيرةً دون أن يتحداهم بعدد من الآيات؛ لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض"(٣).

ومن أجل ذلك كان ضرورياً في البحث في بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وغيرها؛ إحكام النظر في السورة كلها؛ بإحصاء أسماء الله وصفاته العليا، واستنباط آثارها من مجموع نظمها.

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، للبقاعيّ: ١/ ١٤٩.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ٣٣٧.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ١٠٤.

وبهذا تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظر في المناسبات بين الآيات وختمها بأسماء الله حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى الآية، أو القصة، أو القضايا المتجاورة، غاضين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وقعت عليه السورة في جملتها، فكم يجلب هذا النظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد، وكم ينأى به عن أروع نواحي الجمال في النظم؛ وهل يكون مثله في ذلك إلا كمثل امرئ عرضت عليه حلة موشية دقيقة الوشي؛ ليتأمل نقوشها فجعل ينظر فيها خيطًا خيطًا ورقعة رقعة، لا يجاوزه ببصره موضع كفه، فلما رآها يتجاور فيها الخيط الأبيض والخيط الأسود وخيوط آخر مختلف ألوانها اختلافًا قريبًا أو بعيدًا لم يجد فيها من حسن الجوار بين اللون واللون ما يروقه ويونقه. ولكنه لو مد بصره أبعد من ذلك إلى طرائف من نقوشها؛ لرأى من حسن التشاكل بين الجملة والجملة، ما لم يره بين الواحد والواحد، ولتبين له من موقع كل لون في مجموعته بإزاء كل لون في المجموعة الأخرى ما لم يتبين له من قبل؛ حتى إذا ألقى على الحلة كلها نظرة جامعة تنتظم أطرافها وأوساطها؛ بدا له من تناسق أشكالها، ودقة صنعتها؛ ما هو أبهى وأبهر؛ فكذلك ينبغي أن يصنع الناظر في تدبره لنظم السورة من سور القرآن[1].

١ انظر: النبأ العظيم، دراز: ١٩٢. بتصرف.

المطلب الثاني

مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا

عرَّف الله ﷻ نفسه لعباده من خلال آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ لتحقيق مجموعة من المقاصد منها:

١. زيادة الإيمان واليقين:

"الفائدة العامة لذكر أسماء الله تعالى وصفاته وتكرارها في المواضع المختلفة؛ هي تذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه، وما هو متصف به من صفات الكمال الذي يُثْمِر له زيادة تعظيمه وحبه والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسننه في خلقه، وهذا أعلى مقاصد القرآن، في إكمال الإيمان، وإعلاء شأن الإنسان"(١)، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته؛ ازداد إيمانه وقوي يقينه"(٢).

٢. تعظيم الله وتقديسه :

"أعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته؛ إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها، وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا؛ فَلْيَفْهَمِ التَّالِي مِنْهَا صِفَاتِ اللَّهِ عز وجل إذا الْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ؛ فَتَدُلُّ شواهد عَظَمَته عَلَى عظمته؛ فينبغي أن يشهد في العقل الْفَاعِلَ دُونَ الْفِعْلِ، فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ رَآهُ في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا،(١١/ ٧٩).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص٤١.

هالك إلا وجهه"[١].

٣. حب الله ﷻ:

من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ أحبه لا محالة[٢].

٤. الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين :

الله سبحانه أقام الشواهد عليه، وملأ بها كتابه، وهدى عباده إلى النظر فيها والاستدلال بها، ولكن العارف إذا حصل له منها الدلالة، ووصل منها إلى اليقين؛ انطوى حكمها عن شهوده، وسافر قلبه منها إلى المطلوب المدلول عليه بها، ورآها كلها أثرا من آثار أسمائه وصفاته وأفعاله، المشهود المدلول عليه بها معاينة القلب والبصيرة للصانع إذا عاين صنعته، فكأنه يرى الباني وهو يبني ما شاهده من البناء المحكم المتقن؛ لأن الشواهد والأدلة تبطل ويبطل حكمها[٣].

٥. الإقرار بالتوحيد إيماناً وإذعاناً:

أظهر الله لخلقه من آثَار أسمائه وجريان أحكامها عَلَيْهِم مَا اقتضته حكمته وَرَحمته وَعلمه، وسرها أيضاً أنه تعرف إلى خلقه بأفعاله وأسمائه وَصِفَاته وَمَا أحدثه فِي أوليائه وأعدائه من كرامته وإنعامه على الأولياء، وإهانته وإشقائه للأعداء، وَمن إجابته دعواتهم، وقضائه حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وكشف بلائهم، وتصريفهم تَحت أقداره كَيفَ يَشَاء، وتقليبهم فِي أَنْوَاع الْخَيْر وَالشَّر؛ فَكَانَ فِي ذَلِك أعظم دَلِيل لَهُم على أنه رَبهم ومليكهم، وأنه الله الَّذِي لَا إِلَه الا هُوَ، وَأَنه الْعَلِيم الْحَكِيم السَّمِيع الْبَصِير، وَأَنه الاله الْحق وكل مَا سواهُ بَاطِل؛ فتظاهرت أدلة ربوبيته وتوحيده فِي الأرض وتنوعت وَقَامَت من كل جَانب؛

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،(١/ ٢٨٣).

(٢)مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية ،(٣/ ١٨).

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٢٨٣

فَعرفهُ الموفقون من عباده وأقروا بتوحيده إيمَانًا وإذعاناً، وجحده المخذولون على خليقته وأشركوا بِهِ ظلماً وكفراناً؛ فَهَلَك من هلك عَن بَيِّنَة وحيي من حي عن بَيِّنَة وَالله سميع عليم(١).

٦. بيان أن اسم (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى:

اسم (الله) العَلَم دال على معاني أسمائه بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبوداً، تؤلهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله. وصفات الجلال والجمال: أخص باسم الله (٢).

٧. بيان أن تنزلات خطاب القرآن بحسب أسماء الله:

اعلم أن خطاب الله يرد بيانه بحسب أسمائه، ويجمعها جوامع، أظهرها ما ترى آياته، وهو اسمه "الْمَلِكُ" وما يتفصل إليه من الأسماء المقيمة لأمر الحكم، والقضاء، والجزاء، نحو : "الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" الذي تختم به آيات الأحكام : {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيم} [المائدة:٣٨] فهي تنكيل من الله رادع. والردع عن ارتكاب الجريمة؛ رحمة بمن تحدثه نفسه بها؛ لأنه يكفه عنها. ورحمة بالجماعة كلها؛ لأنه يوفر لها الطمأنينة.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، (١/ ١٠).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، (١/ ٥٨).

ولما عَزَّ وحكم؛ قطع يد السارق؛ جزاء واستصلاحاً، وليس انتقاماً.

واسمه "الرحمن الرحيم"، وما يتفصل من الأسماء، من معنى الرحمة المنبئة عن الصفح والمغفرة، الذي تختم به آيات الرحمة :{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[الأحزاب:٧٣]، فمن تفطن لذلك؛ استوضح من التفصيل الختم، واستشرح من الختم التفصيل.

٨. معرفة مقتضى العبودية لأسمائه وصفاته:

فمعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعِزِّه؛ تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى؛ يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية؛ فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها(١).

فالله سبحانه وتعالى من حبه لعباده ورحمته بهم؛ عرَّفهم بنفسه؛ ليحسنوا في عبادته، وينالوا برحمته جنته التي أعدها لهم؛ ويجتنبوا غضبه وسخطه.

(١)مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية،(٢/ ٩٠).

المطلب الثالث

الحكمة في تكرار أسماء الله في السورة

التكرار في اللغة:

التكرار مصدر من كرر يكرر تكرارًا، والكَرُّ: الرُّجُوعُ، يُقَالُ: كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى [١].

والتكرار في الاصطلاح:

تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعانٍ متعددة؛ كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها[٢].

قال الزركشي- رحمه الله- وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر.

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن؛ فقال{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[القصص:٥١]، أي: ووَالَينا وتابعنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضا: وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ونصائح ومواعظ؛ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا[٣].

وقال: {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}[طه:١١٣] أي: نوعناها أنواعا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنوع العقاب

---

١ لسان العرب، ابن منظور/ ١٣٥/٥.

٢ أسرار التكرار في القرآن الكريم: ٥/١.

٣ تفسير القرطبي: ١٣ / ٢٩٥.

وأصناف العذاب، كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم يتقون الله؛ فيتركون من الشر والمعاصي ما يضرهم، ويعملون من الطاعات والخير ما ينفعهم(١).

ومن فوائده:

إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول؛ أعيد ثانياً؛ تطرية له وتجديداً لعهده.

وقد تكرر قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:٩]؛ في ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ؛ فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة.

وأما مناسبة قوله: {الْعَزِيزُ الرَّحِيم}؛ فإنه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر؛ فدل بالمفهوم على إيمان الأقل؛ فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن وهما مرتبتان كترتيب الفريقين(٢).

وإن المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أن لتوارد أسماء الله الحسنى في سورة ما على نحو خاص؛ مزيد عناية بملاحظة وتدبُّر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله -عز وجل- لا يقيم اسمًا من أسمائه الحسنى إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق؛ فكان فقه معاني أسماء الله الحسنى، ومواقعها في الذكر الحكيم بابًا من العلم جدٌّ عظيم، ولا يقوم به إلا من كان محتسبًا متخلقًا بما يليق به من معاني تلك الأسماء؛ فيكون له من ذلك زاد إلى زاد عِرْفانه العلمي؛ يهديه إلى حسن استبصار الروح المهيمن على السورة(٣).

فمن طرق الاستدلال على مقصد السورة: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، والتأمل في آثار ومعاني الاسم المفرد المكرر، أو الأسماء المقترنة المكررة.

---

١ تفسير السعدي: ٥١٤.

٢ البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٢٠.

٣ انظر: العزف على أنواع الذكر، محمود توفيق سعد: ١٢٦.

المطلب الرابع

منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة

لتناول بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته لا بد من اتباع خطوات منهجية علمية؛ ليؤتي العملُ ثمارَه، وتكون الثمارُ المتوقعة؛ مكافئة للجهد المبذول.

ونذكر فيما يلي هذه الخطوات:

أولًا: التقديم للسورة بتمهيد يُعَرِّف فيه بأمور تتعلق بالسورة من ذكر سبب النزول، أو المرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية متقدمة، أو متوسطة، أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة، وما ورد فيها من أحاديث صحيحة؛ تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها.

ثانياً: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وضمائرها، والإسناد إليها في السورة، والتأمل في أكثرها وروداً، وذلك بعد قراءة تأملية متأنية لآيات السورة كلها.

ثالثاً: التعريف بأسماء الله الحسنى الأكثر وروداً في السورة ومادتها، واستقراء معانيها من كتب اللغة وكتب التفسير؛ لأن فهم هذه المعاني يُعين على فهم مجموع نظم الكلام لآثار اسماء الله في السورة.

رابعاً: استنباط مقتضى العبودية للأسماء والصفات الواردة في سياق السورة؛ لأن لكل اسم وصفة من صفاته سبحانه؛ "عبودية خاصة هي موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، فعلم العبد بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛

فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفة العبد بجلال الله وعظمته وعِزِّه؛ تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة"[1].

خامساً: التعرف على المقصد الأساسي في السورة، والمحور الذي تدور حوله، ويكون ذلك من خلال طرق الكشف عن المقصد مثل: دلالة الاسم، أو الموضوعات المطروحة في السورة، أو أخذًا من المرحلة التي نزلت فيها، أو تكرار اسم الله منفرداً، أو مقترنا، أو غير ذلك.

سادساً: تقسيم السورة – وبخاصة الطويلة – إلى مقاصد تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر المقصد الأساسي، أو مجال من مجالاته، واستنباط الهدايات القرآنية منها، وذكر المناسبات بينها.

سابعاً: ربط هذه المقاصد، وما يستنبط من هدايات من كل منها بالمقصد الأساسي للسورة؛ واستنباط الخيط الناظم لها، بقصد إظهار هذا المقاصد وكأنها حبات من عقد اللؤلؤ انتظمت في خيطها؛ فزاد جمالها بانتظامها وتناسقها مع بعضها، أو كأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر أو الشطآن الملتفة حول جذع الدوحة، تقوي أصلها، وتدعم ساقها، وتآزر متنها؛ لتستوي على سوقها، وتعجب الناظرين فيها.

ضوابط في تناول بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى:

١- إذا كان اسم الله الأكثر وروداً هو اسمه العَلَم(الله)؛ فينظر فيما يليه من أسماء في الإحصاء؛ لأنه ما كثر وروده إلا لشرح اسم الله العلم (الله) وبيانه؛ ليعرفه عباده بهذه الصفة؛ فيعبدوه حق العبودية.

٢- يُفَسَّرُ الاسمُ والصفةُ في سياق السورة؛ لأن كل اسم من الأسماء

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية،(٢/٩٠).

الحُسْنَى يُذْكَر فيها مفرداً أو مقترناً بغيره؛ بما يناسب روحها المهيمن عليها.

٣- مراعاة أن الاسم أو الصفة تُذكَر دليلا على ما جاء في السياق من معاني؛ لأن الآيات تُخْتم بالأسماء والصفات التي يقتضيها ذلك المقام؛ حتى كأنها ذُكِرَت دليلًا عليه، وموجبة له.

٤- التأمل في أن لكل آية شملت اسم من أسماء الله معنى تنتظم به بما قبلها، ومعنى تتهيأ به للانتظام بما بعدها؛ حتى تكون السورة في مجموعها متسقة المعاني منتظمة المباني.

٥- لكل صنف من البشر الذين ذُكِروا في سياق السورة حظ من أسماء الله في السورة، ينبغي على المتدبر استنباطها.

٦- مراعاة أن للقرآن طُرُق في الحديث عن آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا يعرضها في الغالب في القرآن الكريم بطرق منها:

الطريقة الأولى: يذكر الاسم ثم يبين آثار هذا الاسم مباشرة، فمثلاً: الرحمن في سورة الرحمن، يستهل به سبحانه السورة والذي يشمل معنى الإفضال، والإنعام، والإحسان، ثم يوضح آثاره؛ قال تعالى: {الرَّحْمَن. عَلَّمَ الْقُرْآن. خَلَقَ الإِنسَان. عَلَّمَهُ الْبَيَان}[الرحمن:١-٤]، إلى نهاية السورة وهي تتحدث عن معاني رحمة الله التي وسعت كل شيء، الرحمة العامة بكل ما ذرأ، والرحمة الخاصة بأوليائه.

الطريقة الثانية: يذكر الآثار ثم يختمها بالاسم المناسب لهذه الآثار، قال تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير}[المجادلة:١]، أي: إن الله عالم بكل صوت وبكل مرئي، ومن ذلك محاورة المجادلة، ووقوعها عند النبي ﷺ (١).

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور:(٢٨/ ٩).

الطريقة الثالثة: يذكر الآثار ثم يذكر الاسم المناسب لمعاني السورة، ثم يهيئ نفس القارئ لآثار أخرى للاسم؛ ومثال ذلك سورة النور؛ ذكر الله في قَلْبِها ما يتوافق مع ذكره آثار اسم الله النور قبل الاسم ثم هيئ النفس لآثار بعده: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[النور:٣٥]

الطريقة الرابعة: يُكْثِر من ذكر الاسم في السورة، وتُذكر في ثنايا آيات السورة آثار هذا الاسم ومعانيه؛ حتى تصبح هذه الآثار والمعاني هي روح السورة، أو الدماء التي تتخلل الجسد عن أوردته وشرايينه؛ لتغذيه بأسباب الحياة، كتكرار اسم الله "العليم" في سورة البقرة، وتكرار اسمه "الرحمن" في سورة مريم، وتكرار اسم الله العَلَم(الله) في سورة المجادلة.

المطلب الخامس

صور فقه أسماء الله الحسنى في ضوء السورة

إن المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أن لتوارد أسماء الله الحسنى في السورة على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبُّر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله – عز وجل – لا يقيم اسمًا من أسمائه الحسنى إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق؛ فكان فقه معانى أسماء الله الحسنى ومواقعها في الذكر الحكيم بابًا من العلم جدٌّ عظيم، ولا يقوم به إلا من كان محتسبًا متخلقًا بما يليق به من معاني تلك الأسماء؛ فيكون له من ذلك زاد إلى زاد عِرْفانه العلمي؛ يهديه إلى حسن استبصار الروح المهيمن على السورة[1].

الصورة الأولى: فقه أسماء الله في السورة التي تكرر فيها اسم الله المفرد:

المثال الأول: فقه أسماء الله في سورة البقرة:

من السور ما اختص بكثرة ذكر اسم من أسماء الله الحسنى على نحو فريد كمثل اسمه العَلَم (الله) جاء في سورة البقرة مئتين وستة وستين مرة، واسمه(الرب) جاء ستة وعشرين مرة، واسمه(العليم) جاء فى سورة (البقرة) إحدى وعشرين مرة، كان مفرداً غير مقترن باسمٍ آخر ثماني مرات. ومثل هذا الاستبصار رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة، وتكررت مادته(عَلِمَ) في السورة في ستة وسبعين موضعاً؛ مما ينبأ أن من مقاصد السورة تعريف عباده بعلمه المطلق الذي أحاط بالكليات والجزئيات.

واذا ما لاحظنا معه أمراً آخر هو اقتران بعض الأسماء مع بعض على نحو فريد فى السورة؛ كان ذلك أيضاً معيناً على معرفة معالم المقصود الأعظم،

---

١ انظر: العزف على أنواع الذكر، محمود توفيق سعد: ١٢٦.

فاسمه (الواسع) لم يتكرر في سورة غير البقرة، ولم يقترن في البقرة باسم آخر غير العليم، حيث اقترن به أربع مرات.

المثال الثاني: فقه أسماء الله المكرر في سورة مريم:

قال ابن عاشور – رحمه الله – "وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ}[الفرقان:٦٠]"[١].

الصورة الثانية: فقه أسماء الله الحسنى في السورة التي تكرر فيها اسمان مقترنان:

مثال: بناء سورة الشعراء على اسمين من أسمائه مقترنين(العزيز الرحيم) مكررين:

فاسمه (العزيز الرحيم) لم يأت على ذلك النحو كمثل ما جاء فى سورة (الشعراء) بل لم يرد فيها اسمه (العزيز) أو اسمه (الرحيم) ألا مقترنين مع تقديم (العزيز) على (الرحيم)، وهذا الاستبصار بهذا الاقتران رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة.

قال الزمخشري – رحمه الله – فإن قلت: كيف كرّر في هذه السورة في أوّل كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلى بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأنّ في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ

١ التحرير والتنوير، لابن عاشور : ١٦/ ٦٠.

العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده؛ كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان، ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهنا، أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ[١].

الصورة الثالثة: فقه أسماء الله الحسنى التي وردت في مطلع السورة:

سورة غافر نموذجاً:

قال ابن عاشور– رحمه الله– " "أجري على اسم الله تعالى– غافر– من صفاته ما فيه تعريض بدعوة قريش إلى الإقلاع عما هم فيه؛ فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة[٢].

وسورة غافر بدأت بذكر ستة أسماء لله عزّ وجل هي: العزيز– العليم– غافر الذنب– قابل التوب– شديد العقاب– ذو الطول.

ومن تأمّل السورة؛ وجد أثر اسم الله العزيز في سياقها، سواء في نصرة الرسل، أو في تعذيب الكافرين، أو في عقوبة من يجادل في آياته.

كما يجد فيها أثر اسم الله العليم في سياقها عامة، سواء في ذكر أدق خفايا النفس البشرية، أو في عرضها ما لا يعلمه إلا الله.

كما يجد فيها أثر اسم الله غافر الذنب، نرى ذلك عند ما تحدّثنا عن دعاء الملائكة لأهل الإيمان بالغفران.

وكذلك قابل التوب {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ}

كما تجد فيها أثر اسم الله ذي الطول في إنعامه على المؤمنين وعلى

---

١ تفسير الكشاف، للزمخشري: ٣/٣٣٤

٢ التحرير والتنوير، لابن عاشور : ٢٤/ ٧٧.

الرسل.

كما نجد فيها أثر اسم الله شديد العقاب، في الكلام عن معاقبته المكذبين للرسل.

فالسّورة جلَّت وأبانت معاني أسماء الله التي ذكرت في بدايتها، وفي كون السور القرآنية تظهر فيها آثار أسماء الله عزّ وجل، وتعرفنا على هذه الأسماء؛ فذلك وحده دليل على أن هذا القرآن من عند الله، فالكلام صفة المتكلم [1].

الصورة الرابعة: فقه أسماء الله الحسنى التي وردت في مطلع السورة ومقطعها:

سورة الحشر نموذجاً:

قال ابن عاشور– رحمه الله – عن بناء سورة الحشر:

لما تكرر في هذه السورة ذكر اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرة، منها أربع وعشرون بذكر اسم الجلالة، وست عشرة مرة بذكر ضميره الظاهر، أو صفاته العلية. وكان ما تضمنته السورة دلائل على عظيم قدرة الله، وبديع تصرفه وحكمته، وكان مما حوته السورة الاعتبار بعظيم قدرة الله؛ إذ أيد النبي ﷺ والمسلمين ونصرهم على بني النضير؛ ذلك النصر الخارق للعادة، وذكر ما حل بالمنافقين أنصارهم وأن ذلك؛ لأنهم شاقوا الله ورسوله، وقوبل ذلك بالثناء على المؤمنين بالله ورسوله ﷺ الذين نصروا الدين، ثم الأمر بطاعة الله والاستعداد ليوم الجزاء، والتحذير من الذين أعرضوا عن كتاب الله ومن سوء عاقبتهم، وختم ذلك بالتذكير بالقرآن الدال على الخير، والمُعَرِّف بعظمة الله المقتضية شدة خشيته؛ عقب ذلك بذكر طائفة من عظيم صفات الله ذات الآثار العديدة في تصرفاته، المناسبة لغرض السورة؛ زيادة في تعريف المؤمنين

١ انظر: الأساس في التفسير، حوى: ١/ ٢٨. بتصرف.

بعظمته المقتضية للمزيد من خشيته، وبالصفات الحسنى الموجبة لمحبته، وزيادة في إرهاب المعاندين المعرضين من صفات بطشه وجبروته؛ ولذلك ذكر في هذه الآيات الخواتم للسورة من صفاته تعالى ما هو مختلف التعلق والآثار للفريقين حظ ما يليق به منها[1].

وكل من هذه الصور تحتاج إلى تطبيقات يجريها المتدبر على سور من القرآن.

وفي هذا البحث نطبق الصورة الثانية على سورة الشعراء.

١ التحرير والتنوير ، لابن عاشور: ٢٨/ ١١٨.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية
الخطوات المنهجية
فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي لسورة الشعراء

الخطوة الأولى: التعريف بسورة الشعراء

أسماء السورة:

سُميت بسورة الشعراء؛ لتفردها من بين سور القرآن بذكر كلمة (الشعراء) فيها[١]. وفي تسميتها بهذا الاسم دليل على أن القرآن يفارق الشعر[٢]، وأن المنزَّل عليه القرآن ليس من قبيل الشعراء؛ لاختلاف أحواله ﷺ عن أحوالهم، واختلاف أتباعه ﷺ عن أتباع الشعراء.

ولئن كان الشعر قد جمع خصائص تثير الوجدان، وتهز النفوس؛ فإن القرآن العظيم قد جمع أعظم ما في الشعر من هذه الخصائص، وفارقه بلاغة وتأثيراً، وإحكاماً وإعجازاً؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فكان حقاً معجزة الرسول الخالدة، وآيته الشاهدة على صدق رسالته.

وتُسمى أيضاً سورة (طسم)؛ لافتتاحها بهذه الأحرف. وهي واحدة من ثلاث سور تُسمى بالطواسين. وقد امتازت هذه السورة بجمعها لقصص الرسل الذين نزلوا بشرائع سماوية قبل بعثة النبي ﷺ، ولعل ذلك هو وجه تسميتها بالجامعة في بعض الأقوال[٣]. والراجح أن تسمية السور – ومن ضمنها سورة الشعراء – قد ثبت بالتوقيف من الأحاديث والآثار[٤]، فلا مجال للاجتهاد فيه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٠٦/١٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٤٤/٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣١٠/١٩، وينظر: التحرير والتنوير: ١٠٦/١٩.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١ وانظر: دراسات في علوم القرآن ١٠٦ للدكتور فهد الرومي.

أما ترتيبها في عداد نزول السور فهي السابعة والأربعون، نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل(١). وأما في ترتيب المصحف فتُعد السادسة والعشرين، جاءت قبل النمل وبعد الفرقان.

زمن النزول :

نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسولﷺ بخوارق؛ فافتتحت بتسلية النبي ﷺ، وتثبيت له، ورباطة لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم، مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب- عليهم السلام-؛ ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:١٩٠-١٩١]؛ تسجيلًا عليهم بأن آيات الوحدانية، وصدق الرسل عديدة كافية؛ لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله؛ فناصرهم على أعدائهم(٢).

موضوعاتها:

موضوع سورة الشعراء هو موضوع السور المكية عامة، وهو العقيدة، والرسالة، والبعث(٣). ولذلك جاء إيقاع آيات هذه السورة متناغماً مع إيقاع السور المكية التي تستند المباني على الأصول الاعتقادية: التوحيد، والمعاد، ودعوة الأنبياء، وأهمية القرآن، والتخويف من عاقبة التكذيب(٤). ثم التنويه

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٠٧/١٩.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور : ٨٩/١٩.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني: ٥٤/١٩.

(٤) ينظر: هامش التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٣/٣ تحقيق رضا فرج.

بالقرآن، وشهادة أهل الكتاب له، والرد على مطاعنهم في القرآن وجعله عضين، وأنه منزه عن أن يكون شعرًا، ومن أقوال الشياطين، وأمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ، وما تخلل ذلك من دلائل[١].

وهذه الموضوعات التي عالجتها السورة وجابهت بها المجتمع المكي – الذي كان لا يزال على الكفر، وإنكار البعث، وعدم التصديق برسالة الرسول ﷺ – **هي أهم أصول الدين ومرتكزاته.**

مناسبتها لما قبلها:

لما عرَّفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد؛ كان ذلك مظنة لإشفاقه ﷺ، وتأسفه على فوت إيمانهم؛ لما جبل عليه من الرحمة والإشفاق؛ فافتتحت سورة الشعراء بتسليته ﷺ، وأنه سبحانه لو شاء؛ لأنزل عليهم آية تبهرهم، وتذل جبابرتهم؛ فقال سبحانه{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِين. إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِين}[الشعراء:٣-٤][٢].

مناسبة مفتتحها لخاتمتها:

بدأت بذكر الكتاب{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين}[الشعراء:٢]، ، **وختمت** به في قوله: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين}[الشعراء:١٩٢][٣].

---

١ التحرير والتنوير، لابن عاشور : ٨٩/١٩.

٢ البرهان في تناسب سور القرآن، للغرناطي: ٢٦٢.

٣ مراصد المطالع والمقاطع، للسيوطي: ٥٧.

الخطوة الثانية

استقراء اسمي الله (الْعَزِيزُ الرَّحِيم)

جاء هذا الاقتران{الْعَزِيزُ الرَّحِيم} في (١٣) موضعًا من القرآن الكريم منها (٩) مواضع في سورة الشعراء؛ وذلك بالتعقيب على قصة كل نبي مع قومه، بقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الشعراء: ٨-٩]، وقوله تعالى: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}[الشعراء: ٢١٧]، وقوله تعالى: {تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}[يس: ٥]، وقوله -عز وجل-: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الدخان: ٤٢]، وقوله سبحانه: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[السجدة: ٦].

واقتران هذين الاسمين الكريمين واضح لمن تأمله حسب السياق القرآني في الآية التي يختم فيها بهذين الاسمين الجليلين.

ففي سورة الشعراء لما كانت الآية هي بمثابة التعقيب على قصة كل نبي مع قومه؛ ناسب ختمها بهذين الاسمين الكريمين؛ وذلك أن ما حصل للمكذبين من عذاب وهلاك؛ إنما هو مقتضى عزته سبحانه وقوته وغلبته، وهو موجب اسمه سبحانه (العزيز) وما حصل من إنجاء للرسل وأتباعهم؛ إنما مقتضى رحمته ولطفه، وهو موجب اسمه سبحانه (الرحيم).

اقتران الاسمين ودلالته:

اقتران هذين الاسمين الكريمين يدل على الكمال، والعدل، والحمد، والعزة والرحمة؛ وذلك ببيان أنه سبحانه مع كونه عزيزًا قويًا غالبًا قاهرًا لكل شيء؛ فلا ينفي أن يكون رحيمًا برًا محسنًا، ولا يعني كونه سبحانه رحيمًا بعباده ألا يكون قويًا غالبًا.

فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة، وقوة، وعزة لا عن ضعف، وعجز، واجتماع

الوصفين؛ يدل على صفة كمال ثالثة وهي: جريان عزته – سبحانه وتعالى – على سنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان.

مناسبة الاسمين الكريمين لسياقهما:

مناسبة قوله {الْعَزِيزُ الرَّحِيمِ}[الشعراء:٩]؛ فإنه نفى الإيمان عن الأكثر{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}؛ فدل بالمفهوم على إيمان الأقل؛ فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن(١).

وقال ابن القيم – رحمه الله – ختم سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمِ}، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم، ولأعدائهم؛ صادر عن عزة ورحمة؛ فوضع الرحمة في محلها، وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعهم برحمته(٢).

ومن سورة الروم:

قال تعالى: {يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمِ}[الروم:٥]

قوله: (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل. (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذّبه(٣).

والعزيز المطلق: هو الذي يَغْلِب كل مُغَالِب له(٤).

وعقبه بـ (الرَّحِيمُ)؛ للإشارة إلى أن عزته تعالى لا تخلو من رحمة بعباده، ولولا رحمته؛ لما أدال للمغلوب دولة على غالبه، مع أنه تعالى هو الذي أراد

---

١ البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٢٠.

٢ شفاء العليل، لابن القيم : ٢٠٠.

٣ تفسير الطبري: ٢٠/ ٦٨.

٤ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢١/ ٤٨.

غلبة الغالب الأول، فكان الأمر الأول بعزته، والأمر الثاني برحمته للمغلوب المنكوب، وترتيب الصفتين العليتين منظور فيه لمقابلة كل صفة منهما بالذي يناسب ذكره من الغالبين، فالمراد رحمته في الدنيا(١).

وقد ذكر من أسمائه هذين الاسمين؛ لأنه إن لم ينصر المحب، بل سلَّط العدو عليه؛ فذلك لعزته وعدم افتقاره، وإن نصر المحب؛ فذلك لرحمته عليه، أو نقول- الكلام لابن عاشور- إن نصر الله المحب؛ فلعزته واستغنائه عن العدو ورحمته على المحب، وإن لم ينصر المحب؛ فلعزته واستغنائه عن المحب ورحمته في الآخرة واصلة إليه(٢).

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.{الرَّحيم} بعباده المؤمنين؛ حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب(٣).

فهذا النصر محفوف بظلال القدرة القادرة التي تنشئه وتظهره في عالم الواقع، وبظلال الرحمة التي تحقق به مصالح الناس، وتجعل منه رحمة للمنصورين والمغلوبين سواء. {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}[البقرة:٢٥١]، وصلاح الأرض رحمة للمنتصرين والمهزومين في نهاية المطاف(٤).

---

١ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢١/ ٤٨.

٢ تفسير الرازي: ٢٥/ ٨١

٣ تفسير السعدي: ٦٣٦

٤ تفسير القرآن: ٥/ ٢٧٥٨.

ومن سورة السجدة :

قال تعالى:{ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[السجدة:٦]

مناسبة وصفه تعالى ب (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) عقب ما تقدم من آيات أنه خلق الخلق بمحض قدرته بدون معين، فالعزة – وهي الاستغناء عن الغير – ظاهرة، وأنه خلقهم على أحوال فيها لطف بهم؛ فهو رحيم بهم فيما خلقهم؛ إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم، فيها نعيم لهم، وجنبهم الآلام فيها(١).

قال تعالى: {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ}[يس:٥-٦].

يعرف الله عباده بنفسه؛ فيقول: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له(٢).

وأضيف التنزيل إلى الله بعنوان صفتي (الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)؛ لأن ما اشتمل عليه القرآن لا يعدو أن يكون من آثار عزة الله تعالى، وهو ما فيه من حمل الناس على الحق، وسلوك طريق الهدى دون مصانعة ولا ضعف مع ما فيه من الإنذار والوعيد على العصيان والكفران.

وأن يكون من آثار رحمته وهو ما في القرآن من نصب الأدلة، وتقريب البعيد، وكشف الحقائق للناظرين، مع ما فيه من البشارة للذين يكونون عند مرضاة الله تعالى(٣).

وفي تخصيص الاسمينِ الكريمينِ المُعربينِ عن الغلبةِ التَّامةِ والرأفة العامة

---

١ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢١/ ٢١٥.

٢ تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩١.

٣ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٢/ ٣٤٧.

حث على الايمان به ترهيباً وترغيباً، وإشعارٌ بأنَّ تنزيلَه ناشئ عن غايةِ الرَّحمةِ؛ حسبما نطقَ به قولُه تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}[الأنبياء:١٠٧][١].

ومن صور عزته أنه حمى كتابه عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته[٢].

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ}: الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، {الرَّحِيمِ} الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى كل حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات.

الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء[٣].

١ تفسير أبي السعود: ٧/ ١٥٩.

٢ تفسير السعدي: ٦٩٢.

٣ تفسير السعدي: ٥٨٩.

الخطوة الثالثة: معاني اسمي العزيز الرحيم في اللغة والاصطلاح

عند الرجوع إلى أمهات كتب اللغة نجد أن:

معنى العزيز هو الممتنع؛ فلا يغلبه شيء، ومعناه هو القوي الغالب على كل شيء، وقيل: الذي لا مثيل له، ولا شبيه، والعزَّ: العزة لله تبارك وتعالى، والله العزيز؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء.

والرحيم: اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه الرفيق والعاطف على خلقه بالرزق وغيره من مقومات حياتهم.

وإنه تعالى رحيم حين يَغْلِب.

وهذا طرف مما جاء في كتب اللغة:

(عز) العين والزاء أصل صحيح واحد، يدل على شدة، وقوة، وما ضاهاهما، من غلبة وقهر.

والعِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يُغْلَب[1].

وَالعَزِيزُ: الذي يَقْهَر ولا يُقْهَر.

فقد يمدح بالعِزَّةِ تارة كما ترى، ويذمّ بها تارة كَعِزَّةِ الكفّارِ. ووجه ذلك أن العِزَّةَ التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العِزَّةُ الحقيقيّة.

والعِزَّةُ التي هي للكافرين هي التَّعَزُّزُ، وهو في الحقيقة ذلّ كما روي عن رسول الله ﷺ: «كلّ عِزٍّ ليس بالله فهو ذُلٌّ»[2] وعلى هذا قوله: {وَاتَّخَذُوا مِنْ

---

١ مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٤٢.

٢ جاء بمعناه عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اعتزّ بالعبد؛ أذلّه الله. أخرجه أحمد في الزهد ص ٤٦٦، بسند ضعيف. (من اعتز بالعبيد أذله الله). رواه أبو نعيم والقضاعي عن عمر مرفوعا، وفي لفظ من استعزّ بقوم أورثه الله ذلهم، وبلفظ الترجمة عند العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي وهو من=

دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا}[مريم: ٨١] ، أي: ليتمنّعوا به من العذاب[١].

فالكافرون يعتزون بالأصنام، ويستنصرونها، ويغضبون لهم ويحاربون، كما يغضب الجند ويحارب عن أصحابه، وهم لا يستطيعون نصرهم، بل هم كَل عليهم.

(رَحِمَ):

الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة، والعطف، والرأفة[٢].

والرَّحْمَةُ رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلانا. وإذا وُصِفَ به الباري؛ فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرّقّة[٣].

اقتران العزة والرحمة صفتا كمال:

والعزة والرحمة صفتان جليلتان- وكل صفات الله جليلة-، الأولى من صفات الجلال، والثانية من صفات الجمال، والجلال هو الصفة التي يتجلى بها الله ﷻ على أعدائه، والجمال هو الصفة التي يتجلى بها على أوليائه؛ فناسب أن تكون هاتان الصفتان تعقيباً مناسباً لمضمون كل قصة، ولروح السورة وجوها الخاص[٤].

=الضعفاء وقال لا يتابع على حديثه، لكن ذكره ابن حبان في الثقات وترجمه في اللآلئ أيضا بلفظ من عز بغير الله ذل كشف الخفاء،(ح ٢٤٠٩).

١ مفردات غريب القرآن، الأصفهاني: ٥٦٣.

٢ مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢/ ٤٩٨.

٣ مفردات غريب القرآن، الأصفهاني: ٣٤٧.

(٤) ينظر: التناسب البياني في القرآن – دراسة في النظم المعنوي والصوتي – ١٢١.

الخطوة الرابعة

التعرف على المقصد الأساسي للسورة

من مقاصد السورة:

قال البقاعي – رحمه الله – :" مقصودها أن هذا الكتاب بَيِّن في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مُبَيِّن لكل ملتبس، ومن ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيله وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه – ﷺ – خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الإيمان، وأن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى والعدوان بما تفهمه(سوف) من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، ورحمة من أراده للهداية والإحسان.

وتسميتها بالشعراء؛ أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجه وعز مرامه، وصدق وعده، ووعيده، وعدل تبشيره، وتهديده.

وكذا تسميتها بالظلة[1]، إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان[2].

وقال صاحب تفسير القرآن– رحمه الله– موضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعا: العقيدة، ملخصة في عناصرها الأساسية: توحيد الله، والخوف من الآخرة، والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله – ﷺ –، ثم التخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر

---

١ لعله إشارة إلى قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[الشعراء:١٨٩]

٢ نظم الدرر، للبقاعي: ١٤/ ٢.

المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين، ذلك إلى تسلية الرسول – ﷺ – وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن، وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين؛ كما ثبت من قبلهم من المؤمنين[١].

وقال مؤلفو المختصر في تفسير القرآن الكريم:

من مقاصدها:

مواجهة المُصِرِّين على التكذيب بالرسول – ﷺ –، الطاعنين برسالته، وتوهينُ شأنهم[٢].

ويمكن أن يُصَاغ المقصد:

بيان سنة الله في إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين؛ تسلية للرسول الأمين – ﷺ –، وتطميناً للمؤمنين إلى يوم الدين.

---

١ تفسير القرآن: ٥/ ٢٥٨٣.

٢ المختصر في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء: ٣٦٧.

الخطوة الخامسة: تقسيم السورة إلى مقاصد

تنتظم السورة في مقدمة تتضمن التنويه بعظمة القرآن، وعجز العرب عن معارضته، والتسلية للرسول ﷺ عما يلاقيه من إعراض المشركين، وتكذيبهم له، والإشارة إلى بعض دلائل التوحيد.

ثم تعرض السورة الكريمة حلقات من قصص سبعة أنبياء كرام، فُصّل الحديث في بعضٍ منها كما في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، واختصر في بعضٍ آخر منها كما في قصة إبراهيم، ونوح، وهود، وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام(١).

ويمثل القصص هيكل السورة الذي يشغل ثمانين ومائة آية من مجموع آيات السورة كلها. والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب، والقصص والمقدمة والتعقيب؛ تؤلف وحدة متكاملة متجانسة، تعبر عن موضوع السورة، وتبرزه في أساليب متنوعة، تلتقي عند هدف واحد، ومن ثم تعرض من كل قصة الحلقة، أو الحلقات التي تؤدي هذه الأغراض.

ويغلب على القصص كما يغلب على السورة كلها جو الإنذار والتخويف، والعذاب الذي يتبع التكذيب؛ استدلالاً على آثار اسم الله "العزيز، وصفته العِزة"، ونجاة الأنبياء وأتباعهم حيث تتجلى رحمة الله.

ثم تأتي الخاتمة متضمنةً التنويه بالقرآن مرة أخرى، والتنزيه له، والتهديد والوعيد للظالمين المكذبين.

والمقدمة والخاتمة تتمثل فيهما موضوعات السورة التي تعالجها، والمعاني التي تهدف إليها، والقَصص يُثبّت هذه المعاني ويؤكدها، ويُصوّر عاقبة الكفر والتكذيب.

---

(١) ينظر: هامش التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٣/٣ تحقيق رضا فرج.

ونتناول فيما يلي بالتفصيل نظام السورة:

المطلب الأول: بيان عظمة القرآن وتسلية الرسول ﷺ

المقدمة: الآيات (١-٩)

قال تعالى: {طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ. وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الشعراء:١-٩].

تأمل في هذه الآيات التي جمع الله فيها بين أطهر نفس بشرية خلقها(نفس رسول ﷺ)، وهي تبذل كل طاقة مُدَخَرة لنجاة أمته، وبين كتابه المسطور(القرآن) الهادي إلى كل خير وصلاح، وكتابه المنظور (الكون) الذي يكفي العبد فيه النظر في بدائع صنع الله، وإتقان تدبيره؛ ليندفع العبد لتوحيده، وإفراده بالعبادة.

والعلاقة بينهم مطردة في القرآن، فإذا ذكر آياته المسموعة؛ ذكر آياته المشهودة، وذكر معهم النفس البشرية بنوعيها الواعية لهذه الآيات، والغافلة عنها، ومصير كل منهما.

فالنوع الأول كقوله في هذه السورة:{وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ}، والثاني كقوله {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ }، وذكر النفس البشرية المُعْرِضة عن التأمل في الآيات {إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ}.

ومهَدَت هذه المقدمة لبيان أفعاله فيمن أعرض عن رحمته، وحارب عزته؛ بذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم.

ففي هذه الأفعال ما يدل على كمال رحمته بإرسال الرسل، وإنزال الكتاب، والإمهال وعدم التعجل في الانتقام، وإغداق الأرزاق بالرغم من الكفر والعصيان، وتوفيق المؤمنين لفعل الطاعات المنجية، والمرضية له، وكمال عنايته بهم، ونصرهم على عدوهم.

فكانت هذه المقدمة كالديباجة للخطبة التي تبين غرض السورة.

آثار أسماء الله ﷻ في آيات المقدمة:

قوله تعالى: {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ}:

الرَّحْمَن في حق الله:

الَّذِي رحم كَافَّة خلقه بِأَن خلقهمْ، وأوسع عَلَيْهِم فِي رزقهم(١).

حكمة ذكر الرحمن في هذا السياق:

وذكر اسم الرحمن الذي أنكروه مع إحاطة نعمه بهم هنا دون وصف الرب كما في سورة الأنبياء{مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم}[الأنبياء:٢]؛ "لأن السياق هنا لتسلية النبي ﷺ على إعراض قومه؛ فكان في وصف مُؤْتِي الذكر بالرحمن؛ تشنيع لحال المعرضين، وتعريض لغباوتهم أن يعرضوا عما هو رحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم؛ فلا تذهب نفسك حسرات على قوم أضاعوا نفعهم، وأنت قد أرشدتهم إليه، وذكَّرتهم"(٢).

حظ الفريقين من اسم الله ﷻ الرحمن:

(١) حظ المؤمنين من اسم الله ﷻ الرحمن:

انتفع المؤمنون بالذِكْر الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ؛ فرضي الله عنهم، ورضوا عنهم، ومَلَّكهم الله السلطان على البلاد، ودانت لهم رقاب العباد

---

١ تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج: ٢٩.

٢ التحرير والتنوير، لابن عاشور : ٩٢/١٩.

بالعدل.

(٢) حظ الكافرين من اسم الله ﷻ "الرحمن":

من آثار رحمته على الكافرين، التوسعة عليهم في الرزق، وإرسال الرسل لهداياتهم إلى الطريق المستقيم، وتدبير شؤون حياتهم.

(٣) حظ النبي ﷺ من اسم الرب ﷻ في الآيات:

قال تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ}[الشعراء:٩].

معنى (الرب):

قال ابن الأثير – رحمه الله–: "يطلق (الربّ) في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم[١].

و(الرب) في حق الله: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأَخَصُّ من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم؛ ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة"[٢]

وهذا الخطاب لرسوله ﷺ من ربوبيته الخاصة به، وَهِيَ رُبُوبِيَّةُ الْمُصْطَفِي (بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ) لِلْمُصْطَفَى (بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ) مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الْخَلْقِ، المقتضية لكمال الرعاية والعناية، والنصرة والتأييد.

أثر اسميه العزيز الرحيم في الآيات:

قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الشعراء:٩]

«**العزيز**» القوي القادر على إبداع الآيات، وأخذ المكذبين بالعذاب.

«**الرحيم**» الذي يكشف عن آياته؛ فيؤمن بها من يهتدي قلبه، ويمهل المكذبين؛ فلا يعذبهم حتى يأتيهم نذير. وفي آيات الكون غنى ووفرة، ولكن

---

١ النهاية، لابن الأثير ١٧٩/٢.

٢ تفسير السعدي ٤٨٦/٥.

رحمته تقتضي أن يبعث بالرسل للتبصير والتنوير، والتبشير والتحذير[١].

وفي وصف الرحمة؛ إيماء إلى أنه يرحم رسله بتأييده ونصره[٢].

وإذا سأل سائل وقال: لماذا قدم العزيز على الرحيم؟

قال الرازي- رحمه الله-: إنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم؛ لأنه لو لم يقدمه؛ لكان ربما قيل إنه رحمهم؛ لعجزه عن عقوبتهم؛ فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة؛ كانت أعظم وقعاً. والمراد أنهم مع كفرهم، وقدرة الله على أن يعجل عقابهم؛ لا يترك رحمتهم من خلق كل زوج كريم من النبات، ثم من إعطاء الصحة، والعقل، والهداية[٣].

حظ الفريقين من الاسمين الكريمين:

(١) حظ المؤمنين من اسمه العزيز:

✓ الكشف عن الآيات التي تكون سبباً في زيادة إيمانهم، والارتقاء من علم اليقين إلى عين اليقين.

✓ تأييدهم ونصرهم على أعدائهم.

(٢) حظ الكافرين من اسمه العزيز:

أخذهم بالعذاب؛ إذا استمروا على كفرهم، وعنادهم، وصدهم عن سبيل الله.

(٣) حظ المؤمنين من اسمه الرحيم:

✓ رعايتهم والعناية الكاملة بهم.

✓ توفيقهم لفعل الطاعات.

---

١ تفسير القرآن: ٥/ ٢٥٨٦.

٢ التحرير والتنوير، لابن عاشور : ١٠٢/١٩.

٣ انظر: تفسير الرازي: ٢٤/ ٤٩٢.

(٤) حظ الكافرين من اسمه الرحيم:

- ✓ إرسال الرسل للتبشير والإنذار.
- ✓ الإمهال وعدم المعاجلة بالعقوبة؛ ليؤمن بعضٌ منهم، أو من ذريَّاتِهم.
- ✓ رزقهم مما يخرج من الأرض بالرغم من كفرهم، وإمدادهم بالصحة، والعقل.

المطلب الثاني

تسلية النبيﷺ من خلال ذكر قصص الرسل عليهم السلام

لقد أبقى الله سبحانه وتعالى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة؛ تسلية لنبيه ﷺ وتطميناً للمؤمنين- رضي الله عنهم-، وتحذيراً للمكذبين من العقوبة الأليمة.

وهذه السورة الكريمة تعرض حلقات من قصص سبعة أنبياء كرام، فُصِّل الحديث في بعضٍ منها كما في قصة موسى-عليه السلام- مع فرعون، واختصر في بعضٍ آخر منها كما في قصة إبراهيم، ونوح، وهود، وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام- ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم، ثم يختم القصة بقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك الصفة:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}؛ فانتقم من أعدائه بِعِزَّتِهِ، وَأَنْجَى رسله وأتباعهم برحمته.

حكمة ذكر قصص الأنبياء في السورة:

قال الزمخشري- رحمه الله- : كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار ما في غيرها؛ فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها، ولأن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وكلما زاد ترديده؛ كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات للحق؛ فكُوثِرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يفتق ذهنًا [1].

---

١ الكشاف، للزمخشري : ٣/ ٣٣٤.

القصة الأولى : قصة موسى عليه السلام وفرعون

العِزَّة الحقيقية لله جل جلاله والعِزَّة الزائفة لفرعون

وجه الشبه بين قصة فرعون وقريش:

ضُرِب المثل بهذه القصة في مكابرة قريش وعنادها وإعراضها عن دعوة رسول الله ﷺ بمكابرة فرعون وقومه، وإعراضهم عن دعوة موسى عليه السلام[(١)]؛ **ولذلك جاء الابتداء بها**؛ ليكون فيها تسلية للرسول ﷺ حيث إن ما حصل له مع مشركي قريش من الإعراض والمكابرة قد حصل لنبي الله موسى عليه السلام في دعوته لفرعون وقومه، "وقلّما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته ﷺ إلا معقبة بقصص موسى عليه السلام وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد، والمعاني، والأخبار" [(٢)].

وكان رسول الله ﷺ يُسلي نفسه، ويَحث أمتَه على الصبر على الأذى بما حدث لموسى عليه السلام، روى الشيخان عنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ ﷺأُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١١٨/١٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي: ١٤/ ٤.

٣ رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه،(٩٥/٤)،رقم(٣١٥٠)، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام،(٢/ ٧٣٩)،(١٠٦٢).

مناسبة هذه الحلقة من قصة موسى عليه السلام لموضوع السورة:

هذه الحلقة من قصة موسى عليه السلام اختصت بالجانب الذي يتحدث عن موسى ودعوته لفرعون، وركزت على بيان عاقبة فرعون؛ ليكون فيها عظة وعبرة لمن اعتبر. وذِكْر عاقبة المكذبين وما آل إليه مصيرهم يتناسب مع مقصود السورة وما تهدف إليه من بيان كمال قدرة الله العزيز الرحيم.

الآيات:[١٠-٦٨]

قال تعالى: **{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِين. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُون. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُون. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون. قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُون. فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِين. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيل. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِين. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّين. فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِين. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيل. قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِين. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُون. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُون. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِين. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِين. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِين. قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم. يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُون. قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِين. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيم. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوم. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُون. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِين. فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِين. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِين. قَالَ**

لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُون. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُون. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِين. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِين. رَبِّ مُوسَى وَهَارُون. قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِين. قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُون. إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِين. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُون. فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِين. إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُون. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُون. فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُون. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيم. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيل. فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِين. فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون. قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيم. وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِين. وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِين. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِين. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:١٠-٦٨].

المقصد الأعظم لقصة موسى عليه السلام مع فرعون:

إثبات الصانع ورسالته؛ إذ كان فرعون منكراً[١].

المتأمل في الآيات يلحظ أن موسى عليه السلام حدد مطلبًا رئيسيًا من فرعون، وهو الإذن لبني إسرائيل في الخروج من مصر، وهو مطلب سياسي؛ فقد كان الهدف هو تحرير بني إسرائيل من العبودية.

مناسبة ذكر قصة موسى عليه السلام لما قبلها:

لما اقتضى وصف العِزَّة الإهلاك، ووصف الرحمة الإمهال؛ أتبع ذلك بذكر أخبار الأمم، دلالة على الوصفين (الْعَزِيزُ الرَّحِيم)معاً ترغيباً وترهيباً، ودلالة

١ النبوات، لابن تيمية: ص(١٨).

على أن الرحمة سبقت الغضب، وإن قدم الوصف اللائق به؛ فلا يُعَذِّب إلا بعد البيان مع طول الإمهال، ولما كان ذكر التسلية بموسى عليه السلام أتم؛ لما له من القرب، والمشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة بدأ به؛ ليكون في إقرارهم على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة، وأتم دلالة.

أثر أسماء الله جل جلاله في القصة وحظ المذكورين منها:

(١) حظ موسى وهارون عليهما السلام من اسم الله جل جلاله (الرب):

لما أمر اللهُ موسى عليه السلام بالذهاب لدعوة فرعون وملئه، قال موسى عليه السلام متضرِّعاً إلى الله عزَّ وجلَّ: {رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُون. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون. قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُون}[الشعراء:١٢-١٥].

سلَّاه ربُه عز وجل وربط جأشه، وطمأنه بوعده بضمانِ كمال الحفظ والنصرة؛ فقال:{إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُون}، "مثَّل حالَه تعالى بحالِ ذِي شَوكةٍ قد حضَر مجادلَة قومٍ يستمعُ ما يجري بينَهم؛ ليمدَّ أولياءَهُ، ويُظهرهم على أعدائِهم؛ مبالغةً في الوعدِ بالإعانةِ"[1].

فحظ موسى وهارون – عليهما السلام- من الربوبية الخاصة، والمعية الخاصة: الحفظ، والرعاية، والإعانة، والتأييد، والنصرة؛ وهي حظ كل ولي وعالم وداعية لله عز وجل يحمل رسالته إلى العالمين.

وتأمل لما قال له أصحابه: {إِنَّا لَمُدْرَكُون}؛ قال لهم:**{ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين}**، وذلك كالمنع مما توهموه، ثم **قوَّى نفوسهم بأمرين:**

أحدهما: {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين}، وهذا دلالة النصرة، والتكفل بالمعونة.

والثاني: قوله: **{سَيَهْدِين}**، والهدى هو طريق النجاة والخلاص، وإذا دله

---

١ تفسير أبي السعود: ٦/٢٣٧.

على طريق نجاته وهلاك أعدائه؛ فقد بلغ النهاية في النصرة"[١].

واقتصر موسى عليه السلام على نفسه في قوله: **{إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}**؛ لأنهم لم يكونوا عالمين بما ضمن الله له من معية العناية، فإذا علموا ذلك؛ علموا أن هدايته تنفعهم؛ لأنه قائدهم والمرسل لفائدتهم.

ووجه اقتصاره على نفسه أيضًا أن طريق نجاتهم بعد أن أدركهم فرعون وجنده لا يحصل إلا بفعل يقطع دابر العدو، وهذا الفعل خارق للعادة؛ فلا يقع إلا على يد الرسول[٢].

وهذا من فقهه عليه السلام لأسماء الله وصفاته وآثارها.

(٢) حظ السحرة من اسم الله(الرب):

لما هددهم فرعون بعد إيمانهم بقوله: {لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِين. قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُون. إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِين}[الشعراء:٥١].

وفي ردهم – رحمهم الله- على فرعون دلالة على رسوخ إيمانهم بالله ووعده؛ لأنه عندما يرسخ الإيمان في القلب يشرق؛ فيستهين صاحبه ببأس الطغاة، وتنتصر فيه العقيدة على الحياة، ويحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم.

وكان حظ السحرة من اسم الله جل جلاله (الرب): التثبيت على الإيمان، والثقة بوعد الرحمن، والانتصار على الطغيان، واتخذهم الله شهداء، وجعل قصتهم سَلْوَى لأهل الإيمان تُقرأ على مسامع المسلمين إلى يوم الدين.

(٣) وحظ جميع ما ذكروا من آثار: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}: ربوبيته للعالم تتضمَّن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كلَّ وقتٍ فيه، وكونه معه كلَّ ساعةٍ في

---

١ تفسير الرازي: ٢٤/ ٥٠٧.

٢ التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٩/ ١٣٥.

شأنٍ، يخلق ويرزق؛ ويُميت ويُحيي؛ ويخفض ويرفع؛ ويُعطي ويمنع؛ ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُصرِّف الأمور بمشيئته وإرادته"[١].

(٤) حظ السحرة من أسماء الله ﷻ العزيز الرحيم:

تأمل قول السحرة: {وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ}:

وقولهم {بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ} يحتمل وجهين:

أحدهما: القسم: كأنهم أقسموا بعزة فرعون، كما تقول بالله إني لأفعل كذا وكذا.

والآخر: أن يكون على جهة التعظيم لفرعون؛ إذ كانوا يعبدونه، والتبرك باسمه، كما تقول ابتدأت بعمل شغل بِسْمِ اللَّهِ «وعلى بركة الله»[٢]؛" فاستعانوا بعزة عبد ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر، وحصل له صورة ملك وجنود؛ فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر[٣].

وفي آية أخرى بين الله أخذه لفرعون الذي تَعَزَّزَ به السحرة، {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ}[القمر:٤٢]، والإشارة إلى العزة والاقتدار؛ تلقي ظلال الشدة في الأخذ، وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم؛ فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم.

وعادة القرآن إذا ذكر عرشاً من عروش الدنيا، أو مظهرًا من مظاهر العظمة؛ ذكر في مقابل ذلك ما يبين عن عظمة الله وعزته، فلما أقسموا بعزة فرعون، وكان من أعظم ملوك الدنيا؛ ناسب ذلك الحديث عن عزة الله.

(٥) حظ موسى ﷺ من آثار اسم الله "العزيز":

اعتز موسى ﷺ بالله العزيز؛ فنصره الله عز وجل على فرعون وملئه،

---

١ الصواعق المرسلة، لابن القيم: ١٢٢٣/٤.

٢ المحرر الوجيز، لابن عطية:٤/ ٢٣٠.

٣ تفسير السعدي: ٥٩١.

وأكرمه بإيمان السحرة، وامرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وطائفة من الشباب على خوف من فرعون.

(٦) حظ فرعون من آثار اسم الله "العزيز":

تَّعَزَّزَ فرعون بالسحرة؛ فخذله الله؛ وذلك أن الذين استنصر بهم، وطلب منهم أن يغلبوا، قد غُلِبُوا وَخَضَعُوا وآمنوا بموسى عليه السلام في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق، وبالمعجزة الباهرة، فَغُلِبَ فِرْعَوْنُ غَلَبًا لم يشاهد العَالَم مثله[١].

ومن آثار اسم الله العزيز انتقامه من فرعون وملئه بإغراقهم في البحر؛ ليكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم، وتطمين **وتسلية** للمؤمنين في كل عصر وحين أن الله ينتقم من أعدائه بما يطيب به قلوب أوليائه.

(٧) حظ فرعون والملأ معه من آثار اسم الله "الرحيم":

أن الله الرحيم أرسل له رسول من أولي العزم من الرسل، وأنزل عليه كتابًا من أفضل كتبه بعد القرآن، ليبلغهم دعوته، وأن يسلك في دعوته أسلوب اللين، وأنه سبحانه أنذرهم بطشته على لسان رسوله، وأدر عليهم النعم ابتلاء، وأمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة.

وأنه تعالى كان عزيزاً قادراً على أن يهلكهم، ثم إنه تعالى ما أهلكهم، بل أفاض عليهم أنواع رحمته؛ فدل ذلك على كمال رحمته، وسعة جوده وفضله[٢].

(٨) حظ السحرة من اسم الله الرحيم :

ومن آثار رحمته بالسحرة أن قذف في قلوبهم الإيمان، وثبتهم عليه، واختارهم شهداء، وجعلهم أسوة يُقْتَدي بهم المؤمنون على مر العصور والأجيال.

---

١ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٦/ ١٤١.

٢ تفسير الرازي: ٢٤/ ٥٠٩.

(٩) حظ المؤمنين على مر الأجيال مما قصَّ الله ﷻ من قصة فرعون:

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}:

والمتأمل فيما حدث في البحر لفرعون؛ يجد آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على عِزَتِه وقدرته؛ لأن أحداً من البشر لا يقدر عليه، وعلى حكمته من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين والدنيا، وعلى صدق موسى عليه السلام من حيث كان معجزة له، وعلى اعتبار المعتبرين به أبداً؛ فيصير تحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله، ويكون فيه اعتبار لمحمد ﷺ، فإنه قال عقيب ذلك {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}[الشعراء:١٠-٦٨]، وفي ذلك تسلية له ﷺ؛ فقد كان يَغْتَم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه؛ فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى عليه السلام وغيره؛ فإن الذي ظهر على يد موسى عليه السلام من هذه المعجزات العظام التي تبهر العقول؛ لم يمنع من أن أكثرهم كذَّبوه، وكفروا به مع مشاهدتهم لما شاهدوه في البحر وغيره؛ فكذلك أنت يا محمد لا تعجب من تكذيب أكثرهم لك، واصبر على إيذائهم؛ فلعلهم أن يصلحوا، ويكون في هذا الصبر تأكيد الحجة عليهم.

والقصة آية على عواقب تكذيب رسل الله، مع ما تتضمنه القصة من دلائل وحدانية الله، وتوحيد المؤمنين له.

ومضت قصة موسى - عليه السلام- مع فرعون وملئه، وانتهت بنهاية فيها البشرى للمؤمنين المستضعفين المضطهدين، وفيها الدمار للظالمين المتجبرين الذين يشبه موقفهم موقف المشركين.

القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام

عاقبة التَّعَزُّزُ بالأصنام (بالحجر)

وجه الشبه بين قصة قوم إبراهيم عليه السلام وقريش:

قوم إبراهيم عليه السلام أشبهوا قريشاً في عبادتهم للأصنام، وفي تمسكهم بضلال آبائهم؛ فجاءت هذه القصة تضرب المثل؛ وذلك لشدة الشبه بين مشركي العرب وقوم إبراهيم عليه السلام في أنه لم يُسلط عليهم عذاب في الدنيا مثلما سُلِط على الأمم الكافرة(١).

وكما أن دعوة إبراهيم عليه السلام تماثل دعوة النبي ﷺ في كونها دعوة تقوم على إعمال دليل العقل(٢).

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام لما قبلها من قصة موسى عليه السلام :

لما أتم الله عز وجل قصة موسى عليه السلام مع فرعون بما فيها من التسلية للرسول ﷺ؛ أتبعها قصة إبراهيم عليه السلام، لأن في قصة موسى عليه السلام تعَزُّزٌ بالبشر (فرعون)، وفي قصة إبراهيم عليه السلام تعَزُّزٌ بالحجر (الأصنام).

الآيات: [٦٩ – ١٠٤]

قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيم. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُون. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِين. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُون. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّون. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُون. قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُون. أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُون. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِين. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين. رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٤٨/١٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٤٩/١٩.

بِالصَّالِحِين. وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين. وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم. وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّين. وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُون. يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون. إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم. وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِين. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِين. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُون. مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُون. فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُون. قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُون. تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِين. إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِين. وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُون. فَمَا لَنَا مِن شَافِعِين. وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيم. فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:١٠٤]

مناسبة هذه الحلقة من قصة إبراهيم عليه السلام لموضوع السورة:

ذكر الله جل جلاله قصة إبراهيم عليه السلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليعرف صلى الله عليه وسلم أن حزنَ إبراهيم عليه السلام بهذا السبب؛ كان أشد من حزنه؛ لأن من عظيم المحنة على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه، وقومه في النار، وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه.

حظ المذكورين في القصة من آثر أسماء الله:

(١) حظ إبراهيم عليه السلام من اسم الله(الرب):

عرَّف إبراهيم ربه؛ فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِين. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين. رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين. وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين. وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم. وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّين. وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُون. يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون. إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾.

تأمل في فقه إبراهيم عليه السلام لأسماء الله سبحانه، وأثارها في حياته، ومستقبله:

أتى إبراهيم عليه السلام في هذه الأوصاف التي وصف الله عز وجل بها بالصفات التي المتصف بها يستحق الألوهية، وهي الأوصاف الفعلية التي تخص البشر، ومنها يجب أن يفْهَم ربه عز وجل؛ وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله عز وجل، وهذا حسن الأدب في العبارة، ثم عدد نعم ربه عليه، وأوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة، وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته[1]

ومن آثار اسمه (الرب):

أن الله أجاب دعوته، فكل ملة تتمسك به وتعظِّمه، والأمة المحمدية تُعَظِّمه وتُصلي عليه في صلواتها.

ومن فقهه عليه السلام لأسماء الله سبحانه وتعالى:

- إقامته البرهان على إبطال الأوثان.
- نصب الدليل على أنه لا حق إلا الملك الجليل الديان.
- وترغيبه وترهيبه.
- إرشاده إلى التزود في أيام المهلة.

(٢) حظ قوم إبراهيم عليه السلام من اسميه سبحانه وتعالى:{الْعَزِيز الرَّحِيم} :

حظهم من اسم الله سبحانه وتعالى:**{الْعَزِيزُ}:** إيقاع النقمة بهم؛ لمخالفتهم لرسوله ودعوته، وتعذبيهم في النار مع معبوداتهم{فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُون}.

وهكذا كل من تَعَزَّزَ بغير العزيز الرحيم ذَّل، ومعه في نار جهنم حَل.

وحظهم من اسم الله سبحانه وتعالى{الرَّحِيم}:

---

١ ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: ٤/ ٢٣٤.

– إمهالهم، مع إدرار النعم، ودفع النقم، وإرسال الرسل، ونصب الشرائع؛ لبيان ما يرضاه ليُتَبَع، وما يسخطه ليتجنب.

– لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة بإيضاح المحجة.

وحظ إبراهيم عليه السلام من اسمه ﷻ العزيز:

أنه أعزَّه ونصره على عدوه.

وحظ إبراهيم عليه السلام من اسم الله ﷻ الرحيم:

أن الله ﷻ نجَّاه مما أعده له أعداؤه من الإحراق في النيران.

القصة الثالثة: قصة نوح عليه السلام

الكبرياء الإلهي والكِبْر البشري

وجه الشبه بين قوم نوح عليه السلام وقريش:

الشبه الأول:

شابهت قريش قوم نوح عليه السلام في عبادة الأصنام؛ فقوم نوح عليه السلام هم أول من عبد الأصنام ثم عبدها العرب بعدهم(١).

الشبه الثاني: احتقار الفقراء:

فقريش طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم طرد الفقراء المؤمنين؛ ليؤمنوا به؛ فأمره الله بقوله: {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}[الأنعام:٥٢].

وقوم نوح احتقروا الفقراء؛ فقالوا: {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ}، أي المؤخرون في الحال والمآل، والأحوال والأفعال؛ فيكون إيماننا بك سبباً لاستوائنا معهم، فلو طردتهم؛ لم يكن لنا عذر في التخلف عنك، ولا مانع من اتباعك.

وهذا يدل على " أن أهل الرئاسة والشرف يكونون أبعد عن الانقياد إلى عبادة الله وطاعته؛ لأن حبهم للرئاسة يمنعهم ذلك بخلاف المستضعفين"(٢).

وهذا الخُلُق دال على ما تنطوي عليه نفوسهم من داء الكِبْر، الذي من اتصف به رد الحق الواضح البين، واحتقر الناس، روى مسلم بسنده عَنْ عَبْدِاللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ

---

١ تفسير العز بن عبد السلام: ٣/ ٣٦٨.

٢ مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ١١/ ١٣٠.

مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «... الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» (١).

ومن نازع الله في كبريائه؛ عذَّبه، روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»(٢).

مناسبة القصة لقصة إبراهيم عليه السلام:

لما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الخليل إبراهيم عليه السلام؛ أتبعها – دلالة على وصفي العزة والرحمة – قصة الأب الثاني، مقدماً لها على غيرها؛ لما له من القدم في الزمان؛ إعلامًا بأن البلاء قديم؛ ولأنها أدل على صفتي الرحمة والنقمة التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم، ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض.

الآيات[١٠٥ – ١٢٢]

قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِين. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُون. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُون. قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون. إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُون. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِين. إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِين. قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِين. قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون. فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِين. فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون. ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ

---

١ رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر،(١/ ٩٣)، (٩١).

٢ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ، (٤/ ٢٠٢٣)،(٢٦٢٠).

الْبَاقِين. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:١٠٥- ١٢٢].

مناسبة قصة نوح عليه السلام لمقصد السورة:

اعلم أنه تعالى لما قصَّ على رسول الله ﷺ خبر موسى وإبراهيم- عليهما السلام -؛ **تسلية له فيما يلقاه** من قومه؛ قصَّ عليه أيضًا نبأ نوح عليه السلام؛ فقد كان نبؤه أعظم من نبأ غيره؛ لأنه كان يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك كذَّبه قومُه.

حظ المذكورين في القصة من آثار أسماء الله:

حظ نوح عليه السلام من اسم الله(الرب):

لما هدده قومه قائلين: {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِين}، أي المقتولين، ولا ينفعك أتباعك هؤلاء الضعفاء، وسمَّوه باسمه جفاء، وقلة أدب؛ استغاث نوح عليه السلام بربه الرحيم به؛ ليظهر له ربه أثر اسم الله العزيز: {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون. فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِين}.

أي احكم بيني وبينهم حكماً يكون لي فيه فرج، وبه من الضيق مخرج؛ فأهلِك المبطلين، وأنجِز حتفهم، ونجني ومن معي في الدين من المؤمنين؛ مما تعذب به الكافرين، "وليس الغرض منه إخبار الله تعالى بتكذيب قومه له؛ لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم، ولكنه أراد إني لا أدعوك عليهم لما آذوني؛ وإنما أدعوك لأجلك، ولأجل دينك؛ ولأنهم كذبوني في وحيك، ورسالتك[1].

فاستجاب ربُه دعاءه، فقال:{ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون} أي: ومن آمن معه على ضعفهم وقلتهم.

---

١ تفسير الرازي: ٢٤/ ٥٢١،

وهذه سنتنا التي لا تتغير ولا تتحول: تنجية رسلنا وأتباعهم برحمتنا؛ إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله بعزتنا، وكذلك سنتي فيك يا محمد وفي قومك.

حظ قوم نوح عليه السلام من أسماء الله في القصة:

حظ قوم نوح عليه السلام من اسمه العزيز:

إهلاك قوم نوح عليه السلام بالعذاب الأليم؛ لردهم الحق الذي جاء به نوح عليه السلام، واحتقارهم الضعفاء.

حظ قوم نوح عليه السلام من اسمه الرحيم:

- أرسل لهم رسول من أولي العزم؛ لبيان ما يحب الله وما يكره، ونوَّع معهم أساليب الدعوة، ومكث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم، وصبر عليهم.
- لم يهلكهم إلا بعد البيان الشافي، والإبلاغ الوافي.
- أدر عليهم النعم بالرغم من كفرهم.
- لم يعالجهم بالعقوبة.

القصة الرابعة: قصة عاد قوم هود عليه السلام

سنة الله في عاقبة الجبارين العالين بالباطل

قوم عاد:

" كانوا يسكنون الأحقاف، وهي: جبال الرمل قريباً من بلاد حضرموت من بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، وكانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وانشغلوا بأمور دنياهم، وإعراضًا عن الفكر في الآخرة، والعمل لها، والنظر في العاقبة، وإشراكًا مع الله في إلهيته، وانصرافًا عن عبادة الله وحده الذي خلقهم، وأعمرهم في الأرض، وزادهم قوة على الأمم؛ فانصرفت همتهم إلى التعاظم والتفاخر واللهو واللعب؛ فبعث الله إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا؛ فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته؛ فلم يستجيبوا له؛ فأهلكهم الله سبحانه وتعالى[1].

مناسبة ذكر قوم عاد لمقصد السورة:

ذكر الله قوم عاد؛ لأنهم ممن يجاور العرب، ويرون آثارهم الدالة على قدرة الله وعِزَته باقية، يرونها بأعينهم؛ يذكرهم الله سبحانه وتعالى بها؛ ليتعظوا وينزجروا، وأنهم إذا استمروا على تكذيب رسول الله؛ فسوف يحل بهم ما حل بعاد جيرانهم، وفيها تسلية للرسول والمؤمنين أن الله انتقم من عاد التي اشتهرت بالقوة والبطش الشديد بعزته سبحانه، وأنجى رسوله والمؤمنين معه برحمته.

الآيات[الشعراء: ١٢٣-١٤٠]

قال تعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِين. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُون. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى

١ ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة: ٦/ ١٥٢، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٩/ ١٦٥.

رَبِّ الْعَالَمِين. أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون. وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُون. أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِين. وَجَنَّاتٍ وَعُيُون. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم. قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِين. إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِين. وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين. فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء: ١٢٣-١٤٠].

مناسبة القصة لما قبلها:

لما ذكر ربنا سبحانه وتعالى ما حَصَلَ لقوم نوح عليه السلام من إهلاك؛ سئل سائل؛ فقال: فما فعل من جاء بعدهم؟ هل اتعظ؟؛ أجيب بقوله:{كَذَّبَتْ عَادٌ}؛ تعداد لأخبار التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتكرير الموعظة للمكذبين.

آثار اسميه العزيز الرحيم في القصة:

تأمل قول الله فيهم: {وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين}، ومناسبته لاسميه الله العزيز الرحيم.

الْجَبَّارُ **(من البشر)**: الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ الْحَقِّ.

و**(الجبار)** في حق الله عز وجل: يعني المُصْلِح أمور خلقه، المُصَرِفهُم فيما فيه صلاحهم"[١].

والجبار في صفة الرب سبحانه ترجع إلى ثلاثة معان: الملك، والقهر، والعلو[٢].

والمتأمل في هذه الحلقة من القصة؛ يجد أن قوم هود عليه السلام نازعوا الله في جبروته؛ واستعملوا نعمه عليهم في التعاظم، والتفاخر، واللهو، واللعب، وآذوا

---

١ تفسير الطبري ٣٦/٢٨

٢ شفاء العليل، لابن القيم: ٣٦٥/١، ٣٦٦.

عباده؛ فاستدعى ذلك ذكر اسمه العزيز، الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

وهذا الوصف لقوم هود عليه السلام لم يأت إلا في هذه السورة؛ لذا جاءت هذه الحلقة من القصة لمناسبة تكرار اسميه العزيز الرحيم فيه لصفة (جبارين) في وصف قوم هود عليه السلام.

وإذا تأملت في الآيات وجدت: أن اتخاذ الأبنية العالية، يدل على حب العلو، واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو؛ فيرجع الحاصل إلى أنهم أحبوا العلو، وبقاء العلو، والتفرد بالعلو، وهذه صفات الإلهية، وهي ممتنعة الحصول للعبد؛ فدل ذلك على أن حب الدنيا قد استولى عليهم؛ بحيث استغرقوا فيه، وخرجوا عن حد العبودية، وحاموا حول ادعاء الربوبية... ثم قالوا: وما نحن بمعذبين: أظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من إنكار المعاد؛ فعند هذا بَيَّن الله تعالى أنه أهلكهم[1].

حظ المذكورين في القصة من آثار أسماء الله " العزيز الرحيم"

(١) حظ عاد من اسم الله "العزيز":

أهلكهم الله سبحانه وتعالى بريح شديدة الهبوب ذات برد شديد جداً؛ فكان إهلاكهم من جنسهم؛ فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلَّط الله عليهم ما هو أعتى منهم، وأشد قوة، وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتطمين للمؤمنين.

(٢) حظ المؤمنين مع هود عليه السلام من اسم الله "العزيز":

أعزهم ربهم، وشفا صدورهم بإهلاك عدوهم.

(٣) حظ عاد من اسم الله "الرحيم":

أنه بالرغم من كفرهم وعتوهم إلا أنه سبحانه لم يمنع عنهم رزقه وإنعامه: {أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِين. وَجَنَّاتٍ وَعُيُون}، ومتعهم بالصحة في الأبدان، وأرسل لهم

١ تفسير الرازي: ٢٤/ ٥٢٣.

رسوله هودعليه السلام؛ ليدعوهم إلى الصراط المستقيم؛ لينجوا؛ لكنهم ما قبلوا رحمة الله بالانتفاع والامتثال.

(٤) حظ المؤمنين مع هودعليه السلام من اسم الله "الرحيم":

لما انتفع المؤمنون بما جاء به رسول الله هودعليه السلام من عند ربه؛ نجاهم معه برحمته، وأعزهم بقوته، وأهلك عدوهم؛ كما هي سنته سبحانه وتعالى.

القصة الخامسة: قصة ثمود

عاقبةُ كُفْرِ النعم

قوم ثمود:

كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر، التي بين وادي القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة مشهورة، وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل، عليه السلام؛ فدعاهم نبيهم صالح عليه السلام إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة؛ فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه(١).

وقد حذَّر رسول ﷺ أصحابه مما حدث لهم عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: " لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ "، قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ "(٢).

الآيات:[١٤١-١٥٩]

قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِين. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُون. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين. أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِين. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون. وَزُرُوعٍ

---

١ تفسير ابن كثير، ت: سلامة: ٦/ ١٥٥، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٩/ ١٦٥.

٢ مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه،(٢٢/ ٦٦)،(١٤١٦٠)، قال محققوه: حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، وأبي الزبير.

وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيم. وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِين. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُون. قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِين. مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين. قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُوم. وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيم. فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِين. فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء:١٤١-١٥٩].

مناسبة ذكر قوم ثمود لمقصد السورة:

جاء في هذه الحلقة من قصة صالح مع قومه وصف نعم الله عليهم:{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِين. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيم. وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِين}.

الفَرِهُ: الأَشِرُ[1].

وتأمل كلمة {**فَارِهِين**}لم ترد في قصة صالح إلا في هذه السورة؛ لمناسبتها لاسميه العزيز الرحيم.

وقد حذَّر الرسول من داء الْأَشَر، عن أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ»[2].

والْأَشَرُ: كفر النعمة. و(البطر) الطغيان عند النعمة، وشدة الفرح والمرح، وطول الغناء. (والتكاثر) التفاخر بالأموال والأولاد والزخارف. (والتناحن) أي

---

١ مفردات غريب القرآن، للأصفهاني: ٦٣٤.

٢ المستدرك على الصحيحين للحاكم، حديث عبد الله بن عمرو،(٤/ ١٨٥)، (٧٣١١)، قال الألباني: صحيح، انظر صَحِيح الْجَامِع: ٣٦٥٨، الصَّحِيحَة: ٦٨٠.

التعادي والتحاقد. (والتحاسد) أي تمني زوال نعمة الغير. (حتى يكون البغي) أي مجاوزة الحد.

هذا تحذير من التنافس في الدنيا؛ لأنها أساس الآفات، ورأس الخطايا وأصل الفتن.

فقد أنعم الله بنعم انغمسوا فيها أنستهم شكر المنعم.

آثار اسمي الله ﷻ العزيز الرحيم في القصة:

(١) حظ ثمود من اسم الله العزيز:

أهلك الله ﷻ بعزته وقدرته قوم ثمود؛ لأنهم تمالؤوا على عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم، وحضوا أحدهم على عقرها، وقد وصفه رسول الله ﷺ في الحديث الذي راوه الترمذي بسنده، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمًا يَذْكُرُ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ: {إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}[الشمس: ١٢] «انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»[١].

فكانت جريمته هذه والتي مالأه عليها قومه سببًا في إنزال الهلاك بهم؛ فآتاهم الله سبحانه وتعالى بعذاب الصيحة؛ فهي صيحة واحدة قطعت نياط قلوبهم، وتركتهم أجسادًا هامدة؛ عبرة وعظة لمن خلفهم.

(٢) حظ صالح عليه السلام من اسم الله العزيز:

أعزَّ الله ﷻ صالحاً عليه السلام بانتقامه ممن خالفوه وآذوه، ونصره عليهم هو المؤمنين معه.

(٣) حظ ثمود من اسم الله الرحيم:

- أرسل لهم نبيًا يدعوهم وينصح لهم، ويحثهم على العمل لاستبقاء النعم

---

١ سنن الترمذي: بَاب وَمِنْ سُورَةِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا،(٥/٤٤٠)(٣٣٤٣)، قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني : صحيح، (الإرواء)، (٢٠٣١)، (غاية المرام)، (٢٥٠).

بأن يشكروا الله عليها.

- أعطاهم نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم، ولا يُتَذَوَّقُ طَعْمُ النعم الأخرى إلا بها.
- جمع لهم بين نعمتي الأمن، ورفاهية العيش.
- أنعم عليهم بالحذق بنحت البيوت من الجبال بحيث تصير بالنحت كأنها مبنية.
- آتاهم بآية خارقة للعادة وهي "الناقة".
- لم يعالجهم بالعقوبة.

(٤) حظ صالح عليه السلام من اسم الله الرحيم:

- نجَّاه الله ﷻ هو ومن آمن معه من العذاب العظيم الذي أصاب المكذبين من قومه.
- جعل قصته عبرة وعظة للرسول الكريم ﷺ، وللمؤمنين إلى يوم الدين.

ومضت قصة صالح عليه السلام مع قومه، وتركت عبرة وعظمة لكل مؤمن يحمل رسالة الله للعالمين إلى يوم الدين.

القصة السادسة: قصة لوط عليه السلام

عاقبة المخالفين للفطرة الإنسانية

قوم لوط:

كانوا يسكنون "سدوم"، وجعل الله مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المُقَدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك؛ فدعاهم لوط عليه السلام إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث(١).

وقد جمع قوم لوط عليه السلام بين خطيئتين:

الخطيئة الأولى: الشرك بالله.

والخطيئة الثانية: وهي قيامهم بفاحشة لم يسبقها إليهم أحد من العالمين.

[الشعراء: ١٦٠-١٧٥]

قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِين. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُون. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين. أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِين. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم، بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُون. قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِين. قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِين. رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُون. فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِين. إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِين. ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِين. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِين. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء: ١٦٠-١٧٥].

---

١ تفسير ابن كثير: ت: سلامة: ٦/ ١٥٧.

والمعنى: أتأتون الذكران مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور؛ فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم؛ فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم[١].

مناسبة ذكر قوم لوط عليه السلام:

كانوا في طريق قريش قال تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}[الصافات:١٣٧-١٣٨].

فكانت العرب يمرون على دار قوم لوط في الصباح والمساء؛ ولا تستيقظ قلوبهم؛ ولا تستمع لحديث الديار الخاوية، ولا تخاف عاقبة كعاقبتها المخزية؛ لذا قال: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم، وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟

مخالفة قوم لوط لحكمة الله في امتداد الحياة:

لقد برأ الله الذكر والأنثى، وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه؛ لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى؛ فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون، وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود[٢].

فهذه الفعلة الشنيعة التي فعلها قوم لوط محاربة لعزة الله التي تصوَّر في الأرحام ما تشاء؛ لتحقيق حكمته في عمران الكون، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران:٦].

فهو جل جلاله ذو القدرة، والقوة على الصنع، والتصوير في أرحام النساء، وهذه

---

١ التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٩/ ١٧٩.

٢ تفسير القرآن: ٥/ ٢٦١٣.

الحكمة فيها رحمة بالجنسين؛ لأنها تُشْبِع الميل لهما؛ لتحقيق مراد الله وفق شريعة الله ومنهجه في الحياة.

منازعة قوم لوط لعِزة الله في ملكه وسلطانه، وتعطيلهم لقانون الله في التناسل:

فهذه الفعلة الشنيعة التي فعلها قوم لوط محاربة لعزة الله التي تصوَّر في الأرحام ما تشاء؛ لتحقيق حكمته في عمران الكون، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[آل عمران:٦].

فهو ﷻ ذو القدرة، والقوة على الصنع، والتصوير في أرحام النساء، وهذه الحكمة فيها رحمة بالجنسين؛ لأنها تُشْبِع الميل لهما؛ لتحقيق مراد الله وفق شريعة الله ومنهجه في الحياة.

وقد أخبر الله ﷻ في بداية السورة أن من آثار عزته ورحمته الإنبات من الأرض في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم}[الشعراء:٧-٨]، "و«الكريم» الحسن المتقن، ويراد الأشياء التي بها قوام الأمور، والأغذية، والنباتات، ومنه قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا}[نوح:١٧]، قال الشعبي- رحمه الله- الناس من نبات الأرض؛ فمن صار إلى الجنة؛ فهو كريم، ومن صار إلى النار فبضد ذلك"[١].

والمتأمل في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر، وهو الماء المحيي المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة - ماء نطفهم - في غير ما جعل له، وهو أن يكون مادة حياة وخصب تمتد به حياة البشر على هذه الأرض.

---

١ المحرر الوجيز، ابن عطية: ٤/ ٢٢٦.

وكان من أسباب إهلاكهم، وتطهير الأرض منهم أنهم أضافوا إلى الكفر بالله، إفساد الحياة بتعطيل قانون امتدادها بسنة الله في الزوجية الذي سنَّه الله في كونه.

(١) حظ لوط عليه السلام والمؤمنين معه من اسمي الله العزيز الرحيم:

آوى لوط عليه السلام إلى ربه:{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}[هود:٨٠]؛ فآواه ربه بعزته ورحمته وحفظه والمؤمنين معه وعصمهم وثبتهم، روى الترمذي بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لُوطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ -يَعْنِي: اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ -فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ" [١].

ولما هدده قومه بقولهم: {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}؛ لجأ إلى ربه العزيز الرحيم؛ {فقال: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ}؛ فأجابه ربه {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ}. أي: أهل بيته، والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم. إلا امرأته أصابها حَجَر في الطريق؛ فأهلكها؛ لأنها كانت مائلة إلى القوم، راضية بفعلهم[٢].

وهذا التهديد بالإخراج من القرية "حال أهل الفجور؛ إذا كان بينهم من ينهاهم؛ طلبوا نفيه، وإخراجه، وقد عاقب الله أهل الفاحشة اللوطية بما أرادوا أن يقصدوا به أهل التقوى؛ حيث أمر بنفي الزاني، ونفي المخنث؛ فمضت سنة

---

١ رواه الترمذي في السنن برقم (٣١١٦) من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو به، ورواه عن طريق عَبْدَةَ وَعَبْدِ الرَّحِيمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ونحو حديث الفضل ابن موسى، وقال الترمذي: "وهذا - أي الطريق الثاني - أصح من رواية الفضل بن موسى وهذا حديث حسن".

٢ تفسير البيضاوي: ١٤٨/٤.

رسول الله ﷺ بنفي هذا وهذا، وهو سبحانه أخرج المتقين من بينهم عند نزول العذاب[1].

(٢) حظ قوم لوط عليه السلام من اسم الله العزيز:

استأصلهم الله العزيز بالخسف، وإمطار الحجارة عليهم.

(٣) حظ قوم لوط عليه السلام من اسم الله الرحيم:

- أرسل لهم رسولًا ينصحهم، ويُبَغِّض لهم ما يفعلون من الفاحشة.
- أمهلهم، ولم يعالجهم بالعقوبة.
- لم يقطع عنهم أرزاقهم، وإمداده لهم.

ومضت قصة لوط عليه السلام، وبقيت في كتاب الله تُتلى على مسامع المؤمنين، وفيها العبرة والعظمة إلى يوم الدين، وبقي حكم الله فيهم بالرجم بالحجارة.

١ مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ١٥/٣٣٤.

القصة السابعة: قصة شعيب عليه السلام

عاقبة المخالفين للأمانة في المعاملات

أصحاب الأيكة:

هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب عليه السلام من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها(١).

مشابهة قوم شعيب عليه السلام لقريش: التطفيف، وبخس الناس حقوقهم.

والتطفيف: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، قال تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون}[المطففين:١-٣]، هذا التطفيف كان يزاوله الكبراء؛ الذين كانوا في الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة، التي تكاد تكون احتكارا؛ فقد كانت هنالك أموال ضخمة في أيدي هؤلاء الكبراء، يتجرون بها عن طريق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام؛ فحذَّرهم الله بعاقبة من فعل هذا الفعل وهم قوم شعيب عليه السلام، حتى لا يصيبهم ما اصابهم من عذاب.

وبخس الناس أشياءهم – فوق أنه ظلم – يشيع في نفوس الناس مشاعر سيئة من الألم أو الحقد، أو اليأس من العدل، والخير، وحسن التقدير، وكلها مشاعر تفسد جو الحياة والتعامل والروابط الاجتماعية والنفوس والضمائر، ولا تبقي على شيء صالح في الحياة.

وهذا الخلق من الكِبر الذي حذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم بسنده، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

---

١ تفسير ابن كثير: ت: سلامة: ٦/ ١٥٨.

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[1].

وَقَوله: " الْكبر بطر الْحق " التكبر عَن الْإِقْرَار بِهِ، والطغيان فِي دَفعه.

قَالَ أَبُو عبيد – رحمه الله– : وغمط النَّاس: الاحتقار لَهُم، والإزراء بهم[2].

والتطفيف الذي نهى الله قوم شعيب عنه؛ كان منبئاً فيهم عن إثم احتقار الحقوق؛ وذلك قد صار خلقاً لهم؛ حتى تخلقوا بمكابرة دعاة الحق.

[الشعراء: ١٧٥-١٩١]

قال تعالى: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِين. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُون. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين. أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِين. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيم. وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين. وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِين. قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِين. وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِين. فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُون. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}[الشعراء: ١٧٥-١٩١].

حاصل ما أمر به شعيبُ عليه السلام قومه، بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول هي:

١- حفظ حقوق المعاملة المالية.

---

١ صحيح مسلم: بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ،(٩١).

٢ كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: ١/ ٣٢٣.

٢- وحفظ نظام الأمة ومصالحها.

٣- وحفظ حقوق حرية الهداية.

وما جاء في هذا التشريع هو أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة؛ لأن المعاملات تعتمد الثقة المتبادلة بين الأمة؛ وإنما تحصل بشيوع الأمانة فيها، فإذا حصل ذلك؛ نشط الناس للتعامل فالمنتج يزداد إنتاجا وعرضا في الأسواق، والطالب من تاجر أو مستهلك يقبل على الأسواق آمنا لا يخشى غبنا ولا خديعة ولا خلابة؛ فتتوفر السلع في الأمة، وتستغني عن اجتلاب أقواتها وحاجياتها وتحسيناتها، فيقوم نماء المدينة والحضارة على أساس متين، ويعيش الناس في رخاء وتحابب وتآخ، وبضد ذلك يختل حال الأمة بمقدار تفشي ضد ذلك[١].

(١) حظ شعيب من اسم الله العزيز:

تأمل قولهم: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[هود:٩١-٩٢].

اعتزاز شعيب عليه السلام بالله جل جلاله لا برهطه، وغضبه لجلال الله جل جلاله:

{يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ} الاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه؛ فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره؛ لأنه أرسله؛ فعزته بعزة مرسله[٢].

إنها غضبة العبد المؤمن لربه أن يستباح جلاله - سبحانه - ووقاره. الغضبة التي لا يقوم إلى جوارها شيء من الاعتزاز بنسبه، ورهطه، وعشيرته،

---

١ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٨-ب/ ٢٤٣

٢ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٢/ ١٥١.

وقومه.

إن شعيبا لم ينتفخ ولم ينتفش أن يجد القوم يرهبون رهطه؛ فلا تمتد إليه أيديهم بالبطش الذي يريدونه! ولم يسترح، ولم يطمئن إلى أن يكون رهطه هم الذين يحمونه ويمنعونه من قومه – الذين افترق طريقهم عن طريقه – وهذا هو الإيمان في حقيقته، أن المؤمن لا يعتز إلا بربه ولا يرضى أن تكون له عصبة تُخْشَى ولا يُخْشَى ربه! فعصبية المسلم ليست لرهطه وقومه، إنما هي لربه ودينه[١].

(٢) حظ قوم شعيب عليه السلام من اسم الله العزيز:

قال تعالى:{فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}:

الله العزيز – ﷻ –جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًا مدة سبعة أيام لا يَكُنُّهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم؛ فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررًا من نار، ولهبًا ووهجا عظيمًا، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم[٢].

(٣) حظ شعيب عليه السلام من اسم الله الرحيم:

ثبته الله – ﷻ –وحفظه، ورعاه، ثم نجَّاه – ﷻ –والمؤمنين معه من العذاب الذي نزل بقومه.

(٤) حظ قوم شعيب عليه السلام من اسم الله الرحيم:

– أرسل لهم رسوله شعيب، ليبين لهم الحجة البالغة، وينصح لهم النصيحة الممحضة.

---

١ تفسير القرآن: ٤/ ١٩٢٣.

٢ ينظر: تفسير ابن كثير، ت: سلامة:٦/ ١٦١.

- أمهلهم، ولم يعالجهم بالعقوبة.
- أغدق عليهم الأرزاق بالرغم من كفرهم وعتوهم.

مضت قصة شعيب عليه السلام مع قومه وفيها مسألة من أهم مسائل الاجتماع في العالم المدني، وهي التنازع بين رجال المال ورجال الإصلاح في حرية الكسب المطلقة، وتقييد الكسب بالحلال ومراعاة الفضيلة [١].

١ تفسير المنار، رشيد رضا: ١٢/ ٢٠٠.

خاتمة سورة الشعراء

القصص في السورة دلالة على صدق رسالة الرسول ﷺ

[الشعراء: ١٩٣-٢٢٧]

لما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات، والإخبار بها آيات مسموعات، وكان في اطراد إهلاك العاصي، وإنجاء الطائع في كل منهما، على تباعد الأعصار، وتناهي الأقطار، واختلاف الديار، أعظم دليل على صدق الرُسُل، وتقرير الرسالات؛ لتوافقهم في الدعوة إلى الله، وتواردهم على التوحيد، والعدل، مع العزوف عن الدنيا التي هي شر محض، والإقبال على الآخرة التي هي خير صرف، والتحلي بما أطبق العباد على أنه معالي الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والتخلي عن جميع الدنايا، والتنزه عن كل نقص؛ عطف على قوله أول السورة {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ}[الشعراء:٥]، الإخبار برسالة محمد ﷺ، إشارة إلى ما في الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات على رسالته ﷺ؛ فقال رداً للمقطع على المطلع: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين. وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِين. أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيل. وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِين. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِين. كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِين. لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيم. فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون. فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُون. أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُون. أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِين. ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُون. مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُون. وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُون. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِين. وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِين. وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُون. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُون. فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِين. وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِين. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُون. وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيم. الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُوم. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم. هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون. وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُون. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون}[الشعراء: ١٩٣-٢٢٧]

قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين}:

(١) حظ الفريقين من اسمه(رب):

وصفه سبحانه بربوبية العالمين؛ للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته عز وجل ورأفته بالكل[١].

(٢) حظ رسول الله ﷺ من الاسمين الكريمين:

ثبَّتَ الله جل جلاله العزيز الرحيم جأشَ رسوله ﷺ بأن لا يعبأ بأعدائه، وأن يتوكل على ربه؛ فهو كافيه.

وأمره الله تعالى بالتوكل عليه في كل أمره، ثم جاء بالصفات التي تُؤَنِّس المتوكل، وهي العزة والرحمة المذكورتان في أواخر قصص الأمم المذكورة في هذه السورة، وضمنها نصر كل نبي على الكفرة، والتهمم بأمره، والنظر إليه[٢].

فهو الذي: الذي يقهر أعدائك بعزته، وينصرك عليهم برحمته، ويعلي كلمتك، ويحفظك، ويكْفك شر من يعصيك منهم، ومن غيرهم.

"**ثم يُشْعِر قلب الرسول – ﷺ – بالأنس والقربى؛** فربه يراه في قيامه

---

١ روح المعاني، للألوسي: ١١٨/١٠.

٢ المحرر الوجيز، لابن عطية : ٤/ ٢٤٦.

وحده للصلاة، ويراه في صفوف الجماعة الساجدة. يراه في وحدته، ويراه في جماعة المصلين؛ يتعهدهم، وينظمهم، ويؤمهم، ويتنقل بينهم. يرى حركاته وسكناته، ويسمع خطراته ودعواته: {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}، وفي التعبير على هذا النحو؛ إيناس بالرعاية، والقرب، والملاحظة، والعناية. وهكذا كان رسول الله – ﷺ – يشعر أنه في كنف ربه، وفي جواره وقربه، وفي جو هذا الأنس العلوي كان يعيش"[1].

وأنت أيها المتأمل في كتاب الله المجيد؛ "إذا أمعنت النظر فيما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة؛ وجدته نازلاً تسليةً لقلب الحبيب ﷺ من تكذيب القوم إياه، والطعن فيما أنزل إليه والاستهزاء به، ألا ترى كيف ذيل كل قصةٍ من القصص المذكورة فيها بقوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}، وجعل كالتخلص إلى قصةٍ أخرى، وكالمهتم بشأنه، فيرجع إليه؛ إذا وجد له مجالاً، يعني: لا تتحسر على إصرارهم على الكفر، وتكذيبهم ما أنزلنا عليك، إن ربك عزيزٌ ينتقم منهم، ويرحمك بأن يقدر لك من يؤمن بك؛ إن لم يؤمن هؤلاء. ومن ثم قرن معه، وقدم عليه كل مرةٍ قوله تعالى: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}، وإليه الإشارة بقوله: "لهو العزيز في انتقامه من الكفرة، الرحيم لمن تاب وأحسن. يعني: لك التأسي بربك مع كبريائه وجلاله، وبالأنبياء عليهم السلام السالفة؛ ولذلك بدأ سبحانه وتعالى بأمر نفسه، وذكر أنه تعالى أنزل عليهم دليل السمع؛ فأعرضوا وكذبوا واستهزأوا، ونصب لهم الدلائل الظاهرة، وأراهم آياتٍ يفتح بها أعينهم: من إنبات كل صنفٍ بهيج، وما التفتوا ولا رفعوا له رأساً، ثم فَصَلَ ذلك

---

١ تفسير القرآن: ٥/ ٢٦٢٠.

بتلك الفاصلة، وقرنها بتلك القرينة، وثنى بقصة موسى عليه السلام، وختمها أيضاً بتلك الفاصلة والقرينة، وثلث بقصة الخليل عليه السلام وختمها بهما، وهلمَّ جرًّا إلى آخر السورة.

فانظر – أيها المتأمل إلى رفعة منزلة سيدنا محمدٍ ﷺ، ونباهة قدره، كأنه التنزيل بجملته نازلٌ لتسكين بادرته، وتسلي حزنه، وتثبيت خلده، ورباطة جأشه، وتهذيب أخلاقه، وإرشاد أمته، مع مراعاة ألفاظ التلويح، والتعريض، والرمز، **كالمناغاة بين المتحابين**"[1].

١ انظر: حاشية الطيبي على الكشاف: ١١/ ٣١٩.

الخيط الناظم

بين مقدمة السورة وقصصها وخاتمتها

انتهى القصص الحق {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}[آل عمران:٦٢]، الذي عرَّف الله ﷻ فيه نفسه بأنه المألوه الحق، وأنه العزيز الرحيم، وأنه من عزته ورحمته بعباده أرسل الرسل بدعوة واحدة في ألفاظها؛ يدعوها كل رسول:{فَاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُونِ}[الشعراء:١٠٨]؛ للدلالة على وحدة الرسالة جوهراً ومنهجاً، في أصلها الواحد الذي تقوم عليه، وهو الإيمان بالله وتقواه، وطاعة الرسول الآتي من عند الله، ثم يزيد كل رسول ما هو من شأن قومه خاصة.

وقد بدأ هذا القصص بعد مقدمة السورة، والحديث فيها خاص برسول الله – ﷺ – الذي إرساله أثر من آثار عزة الله ﷻ التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ فقالا: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمِ}[البقرة:١٢٩]، أي: فبعزتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرسول؛ فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم؛ الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة.

في هذا القصص الحق قصَّ الله ﷻ على عباده المؤمنين من مواكب الرسل وأقوامهم، سبعة من رسل الله مع أممهم: موسى، إبراهيم، نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم جميعا وعلى نبينا السلام، وقد مضى هذا الموكب على سنةٌ ثابتة لله لا تختلف هي: «**أن الله ﷻ ينصر رسله والمؤمنين معهم، ويخذل الكافرين المكذبين، تسلية للرسول، وتطمينا للمؤمنين في كل عصر وحين**» .

ينصر رسوله والمؤمنين الذين التزموا الصراط المستقيم؛ صراط العزيز الرحيم، الذي شهد الله لرسوله باستقامته عليه: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ

مُّسْتَقِيم. تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}[يس:٣-٦]؛ ذلك الصراط المستقيم، المشتمل على الأعمال الصالحة، المُصْلِحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر.

وفي هذه القصص بين الله ﷻ كيف خذل الكافرين المكذبين؟ الذين ردوا الحق الذي جاء به الأنبياء، وحاربوهم وآذوهم، ونازعوا الله في تدبير ملكه، وفي عِزته وسلطانه.

والمتأمل في السورة يجد أن الخيط الناظم لمقدمتها وقصصها وخاتمتها: أن الله ﷻ لم يكن ليهلك قومًا بالكفر وحده؛ حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم فرعون بالاستبداد السياسي، وحرمان الناس من حرياتهم، وقوم عاد بالعتو والجبروت، وقوم ثمود بكفران النعم، ونسيان المُنْعِم، وقوم لوط باللواط، وقوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وهذا الفساد كان نتيجة كِبْرِ هذه الأمم وعلوهم، والذي تسبب في ردهم للحق، واحتقارهم للناس ولحقوقهم.

وهذا الفساد بأنواعه أحدث خللاً في قوانين نظام الحياة التي سنَّها الله ﷻ لعباده على وجه الأرض، وهذا نزاع لله في ملكه وعِزِّه وسلطانه؛ لذا غار الله ﷻعلى سلطانه، وأظهر لنا في هذه السورة آثاراً لعِزَّته، وقدرته وسطوته، وآثاراً لرحمته بعدم معاجلته للأقوام بالهلاك، بل أرسل إليهم الرسل؛ لينذروا أقوامهم عاقبة فسادهم، وترغيبهم في آثار امتثالهم لربهم.

وفي مقابل ذلك أعز الله ﷻ من امتثل أمره، واستجاب لرسله، ونصرهم، وبرحمته نجاهم من بين أيدي الكافرين، ورفع شانهم، وأورثهم الأرض؛ ليقيموا سلطان الله ﷻ القائم على العدل، وهذه سنة الله في الرسل وأقوامهم على مدار تاريخ الدعوة.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني لإعداد هذا البحث، ونسأل الله القبول الحسن.

وكانت اهم النتائج والتوصيات:

١- القرآن الكريم عرَّف العباد بآثار أسماء الله الحسنى على مستوى السورة القرآنية، وعلى مستوى القرآن كله؛ ليعرفوه وليعبدوه.

٢- أسماء الله ﷻ المقترنة المكررة؛ يستبصر به المتدبر روح السورة المهيمن عليها.

٣- التناسق بين مقاصد السورة مع بعضها في عقد واحد مُبهِر.

٤- كل سورة لها أسلوبها الخاص الشيق الذي يتناسب مع طبيعة النفس البشرية في عرض أسماء الله الحسنى.

٥- كل سورة وخاصة الطويلة منها تحتوي على مقدمة، ومقاصد، وخاتمة، بينهن تأخ وتعاضد، وتلاحم في صورة من التناسق والتناسب مبهر.

التوصيات:

أوصي الباحثين وأقسام القرآن وعلومه بما يلي:

١- القيام بدراسات علمية في بيان(بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله المقترنة المكررة في السورة).

٢- القيام بدراسات علمية في بيان(بناء السورة القرآنية على أسماء افتتحت بها السورة القرآنية وآثارها على مستوى السورة كلها) مثل سورة غافر، وسورة الجمعة.

٣- القيام بدراسة علمية في بيان(بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله التي ذُكِرَت في المطلع والمقطع) مثل سورة الحشر.

٤- أن يتبنى أحد مراكز الدراسات القرآنية إعداد موسوعة(التفسير البنائي للقرآن الكريم على آثار أسماء الله الحسنى).

فهرس المراجع

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

الأدب المفرد، المؤلف، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م.

اشتقاق أسماء الله، الزجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي ، أبو القاسم، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الطبعة: الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

أصول الدعوة، زيدان، عبد الكريم ، الطبعة: التاسعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، د.ط، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

بدَائعُ الفوَائِدِ، ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّةِ، أَبو عَبْدِ اللَّهِ محمد بنِ أبي بكر بْنِ أَيُّوب، المحقق: علي بن محمّد العمران، إشراف: بَكر بن عَبدِ اللَّهِ أَبُو زَيْد، الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد،١٤٢٥ هـ.

بديع القرآن، ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحقيق: حفني محمد شرف، د.ط، ، القاهرة، نهضة مصر، د.ت.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، د.ط، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبوالسعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني،، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن، المحقق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الثالثة، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبومنصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط (١)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط (٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية.،(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية

الشافية تأليف الشيخ عبد الحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثانية، الرياض، دار ابن القيم، ١٤٠٧ هـ .

سنن ابن ماجه، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

سنن أبي داود، المؤلف، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

شرح حديث النزول، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي الطبعة: الخامسة، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، د.ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: علي بن محمد الدخيل د.ط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، د.ت.

العبودية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة، بيروت، المكتب الإسلامي ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

(المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

قواعد الأحكام في مصالح الأنام، سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله،(١٤٠٧هـ)، ط(٣)، بيروت، دار الكتاب العربي.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د.ت)

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، ط(٣)، بيروت دار صادر، (١٤١٤هـ).

متن القصيدة النونية(الكافية الشافية)، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين، ط٢، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام،، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط (١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

مختار الصحاح، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، محمد

ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

المستدرك على الصحيحين، ابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار الحديث، ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

مشكاة المصابيح،: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

مصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق

عمل، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلميَّة، (د.ت).

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (١)، بيروت، دار القلم، (١٤١٢هـ).

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الطبعة: الثالثة، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، الطبعة: الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).

الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين، تحقيق: سيد إبراهيم، الطبعة: الثالثة، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م.

SOURCE AND REFERENCES

Mastery in the sciences of the Qur'an, Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din, investigator: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dr.I, Cairo, Egyptian General Authority for the book, 1394 Ah/ 1974 AD.

Singular literature, author, Bukhari, Muhammad ibn Ismail Ibn Ibrahim ibn al-Mughira, Abu Abdullah, investigator: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, third edition, Beirut, Dar al-Bashir al-Islamiya, 1409-1989 ad.

Derivation of the names of Allah, glazaji, Abdul Rahman bin Ishaq al-Baghdadi al-nahawandi, Abu Al-Qasim, investigator: Dr. Abdul Hussein Al-

Mubarak, second edition, Beirut, Al-Risala Foundation, 1406 Ah - 1986 ad.
Origins of the call, Zeidan, Abdul Karim, ninth edition, Beirut, Al-Risala Foundation, 1421h-2001g
The lights of the statement in the explanation of the Qur'an by the Qur'an, Al-Shanqiti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin Abdul Qadir al-jikni, d.I, Beirut, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, 1415 Ah - 1995 ad.
Bada'i Al-Fay'idah, Ibn Qaim Al-jawziyya, Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub, investigator: Ali ibn Muhammad Al-Omran, supervision: Bakr ibn Abdullah Abu Zayd, first edition, Makkah Al-Mukarramah, Dar Al-Alim Al-Fay'idah, 1425 Ah.
Badie of the Qur'an, ibn Abi Al-finger, Abdul Azim Ibn al-Wahid Ibn Zafer, investigation: hafni Muhammad Sharaf, Dr.I, Cairo, the renaissance of Egypt, d.T.
Al-Burhan in the sciences of the Qur'an, Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badreddin Muhammad ibn Abdullah ibn Bahadur, investigator: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, first edition, Cairo, the House of revival of Arabic books Isa Al-Babi al-Halabi and his partners, d.T.
Editing inking in the poetry and prose industry and the statement of the miracle of the Koran, ibn Abi Al-finger, Abdul Azim Ibn al-Wahid Ibn Zafer ibn Abi Al-finger Al-Adwani, Baghdadi and then al-Masri, presented and investigated by: Dr. hafni Muhammad Sharaf, Dr.I, United Arab Republic - supreme council for Islamic Affairs-Committee for the revival of Islamic Heritage, Dr.T.
Liberation and enlightenment, "liberation of the sound meaning and enlightenment of the new mind from the interpretation of the glorious book", Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad Al-Tahir, d. I, Tunisia,Tunisian publishing house, 1984.
The interpretation of Abu Al-Saud "guiding the sound mind to the advantages of the holy book", Abu Al-Saud, Mohammed bin Mohammed bin Mustafa al-Emadi, Dr. I, Beirut, the House of revival of Arab heritage, (d.C.(
Tafsir al-Quran Al-Hakim (Tafsir al-Manar), Rashid Reza, Muhammad Rashid bin Ali Reza son of Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha Al-Din bin Manla Ali Khalifa Al-qalamuni al-Husseini,, d.I, Cairo, Egyptian General book organization,1990.
Interpretation of the great Qur'an by Ibn Abi Hatem, Abu Hatem, Abu Muhammad Abdul Rahman ibn Muhammad Ibn Idris Ibn al-Munther Al-Tamimi, al-hanali, Al-Razi Ibn, investigator: Asaad Muhammad al-Tayeb, third edition, Saudi Arabia, Nizar Mustafa al-Baz library, 1419 Ah.
Interpretation of the great Qur'an, Ibn Kathir, Abu al - Fida Ismail Ibn Omar al-Qurashi al-Basri and then Al-damashki, investigator: Sami ibn

Muhammad Salama, second edition, Taiba house for publishing and distribution, 1420 Ah-1999 ad.
The Quranic interpretation of the Quran, Abdul Karim Yunus al-Khatib, d.I, Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, d.T.
Tafsir al-matridi (interpretations of Ahl al-Sunnah), Muhammad ibn Muhammad ibn Mahmud, Abu Mansur al-matridi, investigator: Dr. Magdy bassloum, first edition, Beirut, House of scientific books, 1426 Ah - 2005 ad.
Zain al-Din Muhammad, called Abdul Rauf bin Taj al-Arifin bin Ali bin Zain al-Abidin Al-Hadadi and then Al-Minawi Al-qaheri, first edition, Cairo, the world of Books, 38 Abdul Khaliq Tharwat, 1410 Ah-1990 ad.
Taiseer al-Karim al-Rahman in the interpretation of the words of Mannan, author: Abdul Rahman bin Nasser ibn Abdullah Al-Saadi, investigator: Abdul Rahman bin Mualla Al-luwaihq, first edition, Beirut, Al-Risala Foundation, 1420 Ah-2000 AD.
The collector of the statement on the interpretation of the Koran: Al - Tabari, Abu Ja'far Muhammad Bin Jarir Ibn Yazid Ibn Kathir bin Ghalib Al-Amli, investigator: Ahmed Muhammad Shaker, first edition, Beirut, the message Foundation, 1420 Ah-2000 AD.
Sahih al-Bukhari, al-Bukhari, Muhammad Bin Ismail Abu Abdullah, investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, I (1), the House of the lifeline collar (Illustrated about the bowl by adding numbering, numbering Muhammad Fuad Abdul Baqi), 1422 Ah .
The whole of the provisions of the Qur'an = Tafsir al-Qurtubi, al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr Ibn Farah Al-Ansari an investigation: Ahmad Al-barduni and Ibrahim atfesh, I (2), Cairo, Egyptian House of books.,(1384 Ah - 1964 ad.(
The clear truth shown in explaining the unification of the prophets and messengers from the healing Kafia authored by Sheikh Abdul Hamman bin Nasser Al-Saadi, second edition, Riyadh, Dar Ibn al-Qaim, 1407 Ah.
Sunan Ibn Majah, son of Majah, Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid Al-Qazwini, and Majah the name of his father Yazid, an investigation: Muhammad Fuad Abdul Baqi, d.I, Cairo, the House of revival of Arabic books-Faisal Isa Al-Babi al-Halabi, Dr.T.
Sunan Abu Dawood, author, Abu Dawood Sulaiman bin Al-ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr al-azdi Al-sijistani, investigator: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, d.I, Sidon-Beirut, Modern Library, d.T.
Explanation of the Hadith of the descent, Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu'l-Abbas Ahmad ibn Abd Al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi Al-Qasim ibn Muhammad al-harrani Hanbali Damascene edition: fifth

edition, Beirut, Lebanon, Islamic Bureau, 1397 Ah-1977 ad.
The healing of the ill in matters of Justice, fate, wisdom and reasoning, Ibn Qayyim Al-jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din, d.I, Beirut, Lebanon, House of knowledge, 1398h-1978g.
Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din, the investigator: Ali bin Muhammad al-Dakhil d.I, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Capital House, Dr.T.
Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd Al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi Al-Qasim ibn Muhammad al-Harani Al-Hanbali Al-damashqi, investigator: Muhammad Zuhair al-Shawish, seventh edition, Beirut, Islamic Bureau , 1426 Ah-2005 ad.
Benefits, Ibn Qayyim Al-jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din (d.: 751 Ah), publisher: House of scientific books-Beirut, second edition, 1393 Ah - 1973 ad
The rules of rulings in the interests of Anam, Sultan Al-Ulama, Abu Muhammad Izz al-Din Abdulaziz bin Abdul Salam Bin Abi Al-Qasim bin Al-Hassan Al-Salami al-Dimashqi, reviewed and commented on: Taha Abdul Rauf Saad, Dr.I, Cairo, library of Al-Azhar colleges, 1414 Ah-1991 ad.
The scout about the facts of the mysteries of downloading, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr ibn Ahmad, zamakhshari Jarallah, (1407 Ah), I (3), Beirut, the House of the Arab book .
Faculties glossary of terminology and linguistic differences, kafawi, Ayyub bin Musa al-Husseini al-quraimi Abu al-stay Al-Hanafi, investigator: Adnan Darwish-Mohammed al-Masri, Dr.I, Beirut, the message Foundation, (d.C(
The tongue of the Arabs, Ibn Manzoor, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din ibn Manzoor Al-Ansari, I (3), Beirut Sadr House, (1414 Ah.(
The text of the poem Al-nouniya (the healing sufficiency), Ibn Qayyim Al-jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din, 2nd floor, Cairo, Ibn Taymiyya library, 1417 Ah.
The brief editor in the interpretation of the Dear Book, Ibn Atiyah, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib bin Abdul Rahman bin Tamam, investigator: Abdus Salam Abdul Shafi Muhammad, i (1), Beirut, House of scientific books, (1422 Ah.(
Mukhtar al-Sahah, Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr Ibn Abdulkader Al-Hanafi, investigator: Yusuf Sheikh Muhammad, fifth edition, Beirut-Sidon, modern library-model house,1420 Ah / 1999 ad.
Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din, investigator: Muhammad Al-Mu'tasim by Allah al-Baghdadi, I (3), Beirut, the House of the Arab book, (1416 Ah - 1996 ad.(
Al-mustadraq Ali al-sahihain, Ibn al-Bayas, Abu Abdullah Al-Hakim Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad ibn hamdawayh Ibn Naeem Ibn al-Hakam Al-Dhubi Al-tahmani Al-nisaburi, an investigation: Mustafa Abd al-Qadir Atta, first edition,

Beirut, House of scientific books, 1411-1990 ad.
Musnad Imam Ahmad ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal Ibn Hilal Ibn Asad Al-Shaybani, investigator: Ahmad Muhammad Shaker, first edition, Cairo, Dar Al-Hadith,, 1416 Ah - 1995 ad
The brief correct predicate of transferring Justice from justice to the messenger of Allah (peace and blessings of Allah be upon him), Muslim, Abu Al-Hasan ibn al-Hajjaj al-qushairi Al-naisaburi, investigator: Muhammad Fuad Abdul Baqi, Dr.I, Beirut, the House of revival of Arab heritage, d.T.
Mishkat Al-Misbah,: Tabrizi, Mohammed bin Abdullah Al-Khatib al-Omari, Abu Abdullah, and Wali al-Din, investigator: Mohammed Nasser al-Din al-Albani, third edition, Beirut, Islamic Bureau,1985.
It is called:" the Supreme destination in matching the name of each Surah to the name", Ibrahim Bin Omar Bin Hassan Rabat bin Ali bin Abi Bakr al-buqai, floor 1, Riyadh, library of knowledge, 1408 Ah - 1987 ad
The meanings and expressions of the Qur'an, glass, Ibrahim ibn al-Sari Ibn Sahl, Abu Ishaq, investigator: Abdul Jalil Abdu Shalabi, first edition, Beirut, the world of books, 1408 Ah - 1988 ad
The dictionary of the contemporary Arabic language, Dr. Ahmed Mukhtar Abdul Hamid Omar with the help of a team, first edition, the world of books, 1429 Ah - 2008 ad.
Dictionary of language metrics, Ibn fares, Ahmad ibn fares Ibn Zakariya al-Qazwini Al-Razi, Abu al-Hussein, investigator: Abdus Salam Muhammad Harun, d. I, Beirut, Dar Al-Fikr, (1399 Ah - 1979 ad.(
The key to the House of happiness and the publication of the Wilayat of knowledge and will, Ibn Qayyim Al-jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub, (d.I), Beirut, the House of scientific books, (d.C.(
Vocabulary in the Qur'an Gharib, Ragheb Isfahani, Abu Al-Qasim al-Hussein bin Muhammad, investigator: Safwan Adnan Daoudi, i (1), Beirut, Dar Al-Qalam, (1412 Ah.(
Manahil Al-Irfan in the sciences of the Quran, Mohammed Abdul Azim Al-zarqani, third edition, Cairo, Isa Al-Babi al-Halabi & co., d.T.
The curriculum is explained correctly by Muslim Ibn Al-Hajjaj, al-Nawawi, Abu Zakariya Muhyiddin Yahya Ibn Sharaf, second edition, Beirut, the House of revival of Arab heritage, 1392 ad.
Al-Baqi'i, Ibrahim ibn Umar ibn Hasan Al-Rabat ibn Ali ibn Abi Bakr, D. A. Al-Durr organized the verses in proportion to the verses and surahs. I, Cairo, Islamic Book House, (d. C.(
The barrage of good words, Ibn Qayyim Al-jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din, investigation: Sayyid Ibrahim, third edition, Cairo, Dar Al-Hadith, 1999.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	**الملخص باللغة العربية.**	٤٨٣٥
٢	**Abstract**	٤٨٣٦
٣	**المقدمة.**	٤٨٣٧
٤	**المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، ويتكون من:**	٤٨٤٢
٥	المطلب الأول: وحدة بناء السورة.	٤٨٤٢
٦	المطلب الثاني: مقاصد تدبر آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا	٤٨٤٥
٧	المطلب الثالث: الحكمة في تكرار أسماء الله في السورة	٤٨٤٩
٨	المطلب الرابع: منهج البحث في فقه أسماء الله الحسنى في ضوء النظم الكلي للسورة	٤٨٥١
٩	المطلب الخامس: صور فقه أسماء الله الحسنى في ضوء السورة	٤٨٥٥
١٠	**المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية سورة الشعراء نموذجاً.**	٤٨٦٠
١١	**المطلب الأول: المقدمة: بيان عظمة القرآن الكريم**	٤٨٧٣
١٢	**المطلب الثاني: تسلية النبيﷺ من خلال قصص الرسل في السورة**	٤٨٧٨
١٣	القصة الأولى: قصة موسى عليه السلام وفرعون	٤٨٧٩
١٤	القصة الثانية: قصة إبراهيم عليه السلام	٤٨٨٧
١٥	القصة الثالثة: قصة نوح عليه السلام	٤٨٩١

١٦	القصة الرابعة: قصة هود عليه السلام	٤٨٩٥
١٧	القصة الخامسة: قصة صالح عليه السلام	٤٨٩٨
١٨	القصة السادسة: قصة لوط عليه السلام	٤٩٠٣
١٩	القصة السابعة: قصة شعيب عليه السلام	٤٩٠٨
٢٠	**المطلب الثالث: الخاتمة: حكمة أمر رسول صلى الله عليه وسلم بالتوكل على العزيز الرحيم.**	٤٩١٣
٢١	**المطلب الرابع: استنباط الخيط الناظم بين مقدمة السورة وقصصها وخاتمتها**	٤٩١٧
٢٢	**الخاتمة.**	٤٩١٩
٢٣	**فهرس المصادر والمراجع.**	٤٩٢٠
٢٤	**فهرس الموضوعات.**	٤٩٣١

تم بحمد الله تعالى